الجريمة المعقّدة
أجاثا كريستي
المكتبة الثقافية
بيروت - لبنان

أجاثا كريستي

الجريمة المعقّدة

تعريب
عمر عبد العزيز أمين

المكتبة الثقافية
بيروت

الجريمة المعقدة

الفصل الاول

ذات مساء من شهر مارس ، كانت قاعة الاستقبال بقصر كوبلستون بمقاطعة (كنت) مسرحاً لمباراة ظريفة بين رجلين تجاوزا سن الشباب والمرح منذ وقت طويل ، أحدهما سير رولاند ديلاهاي ، وهو رجـــل ربعة القوام ، على جانب عظيم من الأناقـــة ، يناهز الخمسين من عمره ، والثاني هوجو بيرش ، وهو طويل القامـــة ، أشيب الشعر ، وقد تجاوز الستين ..

كان سير رولاند جالساً على أحد المقاعد وهو معصوب العينين ، بينما وقف هوجو بيرش إلى يساره ..

وعلى مائدة صغيرة ، في أحد أركان الغرفة ، كانت توجد صحفة عليها ثلاثة أقداح مليئة بالنبيذ ، وقد وضع على كل منها رقم ..

وقد بدأت المباراة بين الرجلين ، عقب مناقشة حادة بينهما ، زعم فيها كل منهما انه ذواقة للخمور ، وانـــه أكثر خبرة بالأنبذة من

الآخر .

فاقترحت ربة الدار هذه المباراة ، وتركت للرجلين ان يحسما الخلاف بينهما ومضت للاشراف على شؤون بيتها .

تناول هوجو بيرش القدح رقم ٢ وقدمه للسير رولاند ، فرفعه هذا إلى شفتيه ، واحتسى منه جرعة وقال :

– نعم . مؤكد . هذا نبيذ (دو) .. إنتاج سنة ١٩٤٢ .

فتناول بيرش القدح من يد سير رولاند، ووضعه على المائدة .. و كتب على ورقة بجوار الصحفة :

القدح رقم ٢ – نبيذ (دو) انتاج سنة ١٩٤٢ .

ثم تناول القدح رقم(١) وقدمه إلى السير رولاند ، فأخذ منه هذا رشفة وهز رأسه معجباً .

ثم أخذ رشفة أخرى وقال :

– آه ا. نعم .. هذا هو النبيـذ الجيد ، نبيذ (كوكبيرن) ، من سنـة ١٩٢٧ ، أليس من الحماقة ان تضحي كلاريسا بزجاجة من هذا النبيذ لمثـل هذه التجربة .

ثم نهض واقفاً ورفع المنديل عن عينيه وقال :

– لا ضرورة لأن أختبر نبيذ القدح الثالث ، فلا بد انه النبيذ العادي الذي يطلقون عليـه اسم (ريتش روبي) ، والذي يباع عنـد صغار البقالين .

فقال بيرش وهو يقرأ ما كتبه :

رقم (٢) نبيذ (دو) من سنة ١٩٤٢ .

رقم (١) نبيذ (كوكبيرن) من سنة ١٩٢٧ .

رقم (٣) نبيذ (ريتش روبي) .

والآن جاء دوري .

وتناول المنديل وعصب به عينيه ، واقترب منه سير رولاند وتحقق من ان المنديل مشدود جيداً .

ثم قدم له مقعداً وقال :

– إجلس على هذا المقعد يا هوجو .

فقال وهو يجلس :

– لا تظن إنني ســأتأثر بآرائك يا رولاند .. فإنني لا أقل عنك خبرة بالنبيذ .

– سوف نرى .

وتناول القدح رقم (٣) وقدمه لغريمه .. وقبل ان يرفع هوجو القدح إلى شفتيه ، دخل الغرفة من البـاب المؤدي إلى الحديقة ، شاب وسيم أنيق ، في نحـو الثلاثين من عمره ، يرتـدي معطفاً واقيـاً من المطر ..

كان يلهث ، وقد انقطعت أنفاسه ، وكأنه كان يعدو بكل سرعته .

قال الشاب وهو يخلع معطفه :

– ماذا يجري هنـا ؟ لعبة الورقات الثلاث ، بعـد استبدال الورق بالأقداح ؟.

فقال هوغو

– من هذا الذي يلهث كالكلب ؟

فقال السير رولاند :

– هذا جيريمي وارندر الشاب .

فقال هوغو :

– آه ! خيل إلي ان كلباً يطارد أرنباً في الغرفة .

فقال جيريمي وهو ما يزال يلهث :

– لقد قطعت المسافة بين باب القصر وحلبــة الجولف ذهاباً وإياباً ثلاث مرات دون ان أخلع المعطف .. سفير تشيكوسلوفاكيا قطع هذه المسافة في أربــع دقائق و ٥٣ ثانية ..

ولكنني بذلت قصارى جهدي ولم أستطع أن أقطعها في أقل من ست دقائق و ١٠ ثوان .

قال ذلك وتهالك في أحد المقاعد واستطرد قائلاً :

– لا أعتقد ان سفير تشيكوسلوفاكيا سجل هذا الرقم .

فسأله السير رولاند :

– من قال لك انه فعل ذلك ؟

– كلاريسا .

فهز السير رولاند رأسه وقال وهو يبتسم :

– آه ! كلاريسا !

وقال هوجو :

– لا تقم وزناً لأي شيء تقوله كلاريسا .

وقال رولاند :

– يخيل إلي انك لم تعرف مضيفتك جيداً يا جيريمي ، إنها سيدة خصبة الخيــال .

فقال جريمي وهو ينهض :

– هل تعني انها اخترعت هذه القصة لتسخر مني ؟

فقال رولاند وهو يقدم لهوغو القدح رقم (٣) :

– إنني لم أبرئها من ذلك !

– أحقاً ؟. إذن صبراً حتى أراها .. يا إلهي !!. إنني أكاد أن أموت تعباً .

قال ذلك ونهض عن مقعده ، ووضع معطفه على مشجب خارج الغرفة ،

وعاد إلى مكانه ، فصاح هوغو :

ـ ألا تكف عن اللهث ؟. أريد ان أركز تفكيري .. انني تراهنت مع رولاند على خمسة جنيهات !

ـ وما هو موضوع الرهان ؟

ـ أينا أكثر خبرة بالنبيذ .

ثم ارتشف من القدح وهز رأسه :

فقال رولاند :

ـ ماذا قلت ؟

ـ لا تتعجلني يا رولاند . انني لن أصدر حكمي جزافـــاً .. أعطني قدحاً آخر .

فناوله السير رولاند القدح رقم (١) ، فاحتسى هوجو جرعة من هذا القدح وقال وهو يعيد اليه القدح رقم (٣) :

ـ في هذا القدح الأول نبيذ (دو) .. وفي القدح الثاني نبيـــذ (كوكبيرن) .

فوضع رولند القدحين على الطاولة وكتب :

رقم (٣) دو ، ورقم (١) كوكبيرن .

قال هوغو :

ـ ليس من الضروري ان أختبر القدح الأخير ، ولكن لن أمانع من ان أتذوقه .

فقال رولند وهو يقدم له القدح رقم (٢) .

ـ ها هو ..

ورفع هوغو القدح إلى فمه .

ثم قلب شفتيه استنكاراً وقال :

ـ يا له من شراب فظيع !!

ومسح شفتيه بظاهر يده واستطرد قائلاً :

ـ ستمضي ساعة قبل ان أنسى مذاقه .. خلصني من هذا المنديل يا روالند .

ولكنه كان في شغل بتذوق نبيذ القدح الأخير .

فقال جيريمي وهو يسرع اليه :

ـ سأفعل أنا ذلك .

وحل عقدة المنديل .

قال سير روالند :

ـ النتيجة ، في رأيك ، هي أن رقم (١) نبيذ رديء ، ولكنه في الواقع نبيذ (دو) من إنتاج سنة ١٩٤٢ .. وذلك أمر لا شك فيه .

فرد هوغو وهو يضع المنديل في جيبه :

ـ انك فقدت حاسة التذوق يا سيدي .

فقال جيريمي :

ـ إسمحا لي ان أختبر هذه الأنبذة .

وأخذ رشفة من كل قدح ثم قال :

ـ كلها مذاقها واحد .

فقال هوغو مستنكراً .

ـ إن الويسكي والجين قد أفسدا مذاقكم أيها الشباب .

ودخلت كلاريسا في هذه اللحظة ، قادمة من الباب المؤدي إلى غرفة المكتبة .

كانت شابة جميلة مرحة ، ذكية العينين ، طويلة القامة ، في نحو الثلاثين من عمرها .

قالت :

ـ ماذا فعلتما أيها العزيزان ؟ هل حسمتما ما بينكما من خلاف ؟

فقال السير رولاند :

ـ أظن ذلك .

فقال هوغو :

ـ رقم (١) هو نبيذ (كوكبيرن) ورقم (٢) نبيذ رديء ، ورقم (٣) نبيذ (دو) .

فصاح السير رولاند :

ـ هراء .. رقم (١) نبيذ رديء ، ورقم (٢) نبيذ (دو) ورقم (٣) نبيذ (كوكبيرن) .. أنا الأصح .. اليس كذلك يا كلاريسا ؟

فتقدمت كلاريسا من هوغو وقبلتـــه ، ثم قبلت السير رولاند ، وقالت :

ـ أرجو ان تحملا الصحفة والأقداح إلى قاعة الطعام وستجدان القنينة هناك على الطاولة .

وتناولت قطعة من الشيكولاته من صندوق على الطاولة فهتف السير رولاند وهو يحمل الصحفة والأقداح .

ـ القنينة ؟ .

ـ أجل .. هناك قنينة واحدة .. ومنها ملأت الأقداح الثلاثة ، وهو نوع واحد من النبيذ .

فضحك جريمي وصاح السير رولاند

ـ كلاريسا .. انك إمرأة لا أخلاق لك .

ـ إسمعيا إلى .. كنتما تريدان لعب الجولف ، ولكن الأمطار حالت دون ذلك .. وكان لا بد ان أجد وسيلة لتسليتكما ، وأعتقد انني وفقت اليس كذلك ؟

ـ يجب ان تخجلي من ذاتك يا كلاريسا .. فما كان ينبغي ان تسخري

ممن هم أكبر منك سناً .

فقال هوغو ضاحكاً

ـ من ذا الذي قال انه يستطيع ان يتبين النبذ (كوكبيرن) من مسافة عشرة أمتار ؟

فقال رولند

ـ لا بأس يا هوغو . . دعنا نخاص ما في القنينة .

وتوجها إلى قاعة الطعام .

الفصل الثاني

شيع جيريمي الرجلين ببصره حتى تواريا في قاعة الطعام ، ثم التفت إلى ربة الدار وقال :

– والآن يا كلاريسا .. ما تلك القصة التي رويتهـــا لي عن سفير تشيكوسلوفاكيا ؟

– أية قصة ؟

– هل قطع المسافة حقاً بين باب القصر وملعب الجولف ذهـاباً وإياباً ثلاث مرات وهو مرتد معطفه في أربع دقائق و ٥٣ ثانية ؟

فأجابت :

– إن سفير تشيكوسلوفاكيا رجل ظريف ، وقد تجاوز الستين ، ولا أظنه يستطيع أن يجري مسافة خمسة أمتار .

– إذن لماذا اخترعت هذه القصة ؟ لماذا ؟

– رأيتك تشكو من انك لم تمارس أي نوع من الرياضة طول النهار .

– كلاريسا .. ألا تقولين الصدق أبداً ؟

– أحياناً .. ولكني عندما أقول الصدق ، لا أحد يصدقني . وهـذا غريب حقاً .. ولكن يخيل أن الإنسان حين يخترع قصة ، فإنه يندفع مع خياله ويتحمس في سرد القصة بطريقة تقنع سامعيه .

قالت ذلك وسارت إلى الباب المؤدي إلى الحديقة ..

قال جيريمي :

– إني بذلت جهداً كان يمكن أن يؤدي إلى انفجار أحد شراييني .

فضحكت وقالت لتغير مجرى الحديث :

– لقد بدأ الجو يصفو وأعتقد اننا سننعم بامسية رائعة .

ثم تنسمت الهواء ملء رئتيها .

واستطردت قائلة :

– ما أجمل رائحة الحديقة بعد المطر !

– أتحبين الحياة في هذه المنطقة الريفية حقاً ؟

– أحبها جداً ..

فاقترب منها وقال :

- أعتقد انك تشعرين بكل السأم والملل ، فإنك لم تخلقي لمثل هذه الحياة ، إن مكانك في لندن حيث المرح والصخب .

– إن الحفلات الدبلوماسية مملة للغاية ..

– إنك تهدرين حياتك وشبابك هنا .:

وحاول أن يضع يده على يدها .. ولكنها جذبت يدها بسرعة وقالت :

لا أظن ذلك .

– ثم أن هناك هنري .

فقالت وهي تتناول وسائد الأريكة وتعيد ترتيبها :

- ماذا عن هنري ؟

– اني لا أعلم لماذا تزوجته ، فهو أكبر منك سناً ، وله ابنة في المدرسة .. صحيح انه رجل ممتاز .. ولكنه جامد متزمت ويفتقر إلى روح الدعابة والمرح ..

فنظرت اليه كلاريسا ولم تعقب على حديثه ..
قال :
– لعلك تظنين أنه ما كان ينبغي لي أن أقول هذا الكلام ؟
فأجابت وهي تجلس على الأريكة :
– كلا .. تستطيع أن تقول ما تشاء .
فقال باهتمام :
– معنى هذا انك تدركين انك أخطأت :
وجلس بجانبها ..
فأجابت ببساطة :
– ولكني لم أخطىء
ثم قالت تداعبه :
– هل تحاول أن تطارحني الغرام يا جيريمي ؟
– بلا شك .
– ما أجمل ذلك .. استمر !
– اني أحبك .
فضحكت وهتفت قائلة :
– كم يسعدني أن أعلم ذلك .
– ليس هذا هو الجواب المناسب ، كان ينبغي أن تقولي بصوت عميق مليء بالعطف .. أنا آسفة .
– ولكني لست آسفة . أنا سعيدة لأنني أريـــد أن يحبني جميع الناس .. ولكن إذا كنت تحبني فهـــل أنت على استعداد لأن تفعل شيء من أجلي ؟
فأجاب بحدة :
– أي شيء ..

– أحقاً ؟ لنفرض اني قتلت شخصاً . فهل .. ولكن لا .. دعنا من ذلك .

– كلا ، تكلمي .

– انك سألتني منذ لحظة ما إذا كنت أشعر أحياناً بالملل .

– نعم .

– الواقع انني أشعر أحياناً بالسأم .. ولكني أتغلب عليه بهوايتي الخاصة .

– وما هي هذه الهواية الخاصة ؟

– أصغ الي يا جريمي .. انني أعيش حياة هادئة سعيدة ، خالية من الأحداث المثيرة .. ولذلك بدأت أمارس لعبتي الصغيرة التي أسميها « لنفترض » .

– لنفترض ؟

– نعم .. فأقول لنفسي مثلاً ، لنفترض انني دخلت قاعة المكتبة ذات صباح فوجدت جثة فماذا أفعل ؟ أو لنفترض إن إمرأة جاءت لمقابلتي ذات يوم وقالت لي أن هنري تزوجها سراً حين كان يعمل في السفارة البريطانية باسطمبول ..

فبماذا أجيبها ؟ أو لنفترض انني وجدت نفسي ذات يوم بين أحد أمرين .. أما أن أخون وطني .. وأما أن أرى هنري يعدم رمياً بالرصاص أمام عيني .. فماذا أفعل ؟

ونظرت اليه وابتسمت واستطردت قائلة :

– أو لنفترض انني هربت مع جيريمي فماذا يحدث بعد ذلك ؟

فقال وهو يتناول يدها بين يديه .

– كم أنا فخور بهذا الإفتراض ! ولكن ماذا حدث ؟

فأجابت وهي تجذب يدها :

- تخيلت أننا هربنا معاً الى (الريفييرا) ، وان هنري لحق بنا هناك ، وكان بيده مسدس

- يا إلهي ! هل أطلق علي الرصاص !

كلا .. إنه قال لي « كلاريسا .. عودي معي وإلا قتلت نفسي .. »

- يا له من رجل نبيل ! انني لا أتوقع من هنري هيلشام براون الدبلوماسي الأصيل أن يقول غير ذلك .. ولكن ماذا كان جوابك ؟

- تخيلت مرة انني ذهبت معه ، واخرى إنني رفضت .

- إنها لعبة مسلية حقاً أيتها العزيزة .

وسمعا في هذه اللحظة وقع أقدام سريعة في قاعة المكتبة !

فهتفت كلاريسا :

- هذه (بيبا) ..

ودخلت بيبا ، وهي فتاة صغيرة في الثانية عشرة ، وكانت ترتدي ثياب المدرسة وتحمل حقيبة كتب .

هتفت حالما رأت كلاريسا :

- هالو .. كلاريسا .

- هالو بيبا .. أنت تأخرت اليوم .

فوضعت بيبا قبعتهـا وحقيبة كتبها على أحد المقاعد ، وجلست على مقعد آخر .

فقالت :

- نعم تأخرت بسبب درس الموسيقى ، هل يوجد طعـام ؟ انني اكاد أموت جوعاً .

- ألم تأخذي شطائرك معك لتأكليها في الأتوبيس ؟

- أخذتها طبعاً وأكلتها منذ نصف ساعة ، الا توجد كعكة او أي شيء آكله إلى ان يحين موعد العشاء !

فقالت كلاريسا ضاحكة وهي تحيط كتفي الفتاة بساعدها وتسير معها نحو باب الغرفة

ـ تعالي معي لنبحث عن شيء يؤكل .

ـ الا توجد بقية من فطيرة التفاح ؟

ـ كلا ايتها "العزيزة ، انك اتيت عليها كلها أمس .

* * *

وما أن غادرت كلاريسا وببا الغرفة حتى هب جيريمي واقفاً ، وأسرع إلى المكتب القديم الثمين القائم في صدر الغرفـة ، وراح يفتح الأدراج ويغلقها بلهفة .. وعيناه تجولان بين الأبواب حتى لا يفاجئه احد في هذا الوضع ..

وفجأة سمع صوتاً منبعثاً من الحديقة يقول :

ـ الا يوجد احد هنا ؟

فأغلق جيريمي الأدراج بسرعة ، في اللحظة التي اطلت فيها مسز بيك من الباب المؤدي إلى الحديقة .

كانت مسز بيك سيدة بدينة مرحة ، تناهز الأربعين من عمرها ، وكان من شروط العقد الذي وافق عليه هنري هيلشام براون عندمـــا استأجر القصر مؤثثاً ان تشرف مسز بيك على حديقة القصر وتحافظ على أثاثه من عبث المستأجرين ..

* * *

وقفت مسز بيك بالباب المؤدي إلى الحديقة ، وأجـالت الطرف بين اطراف الغرفة .

كانت ترتدي سروالاً ..

وحذاء من المطاط يصل إلى ركبتيها !

سألت :

ـ هل مسز هيلشام براون هنا ؟

فرد جيريمي وهو يخرج من وراء المكتب :

ـ كانت هنا منذ لحظة .. وذهبت مع بيبا لتعد لهـا شيئاً من الطعام !

ـ من الخطأ ان يأكل الصغار بين الوجبات الرئيسية .

ـ اتدخلين يا مسز بيك ؟

ـ كلا .. لا استطيع الدخول بهذا الحذاء .. وإلا نقلت إلى الغرفة نصف طين الحديقة .

وضحكت واستطردت قائلة :

ـ إنما اردت فقط ان اسأل مسز هيلشام براون عن نوع الخضر الذي سيطهى للغذاء غداً .

ـ الواقع انني !

ـ حسناً ، سأعود بعد قليل .

واستدارت لتذهب !

ولكنها ما لبثت أن دارت على عقبيها وقالت :

ـ ارجو ان تكون حريصاً .. في معـالجة هذا المكتب يا مستر وارندر !

ـ طبعاً .. طبعاً .

ـ انه اثري وثمين .. فلا ينبغي ان تفتح ادراجه وتغلقها بعنف كما

رأيتك تفعل .

ـ انا آسف يا مسز بيك ، انما كنت ابحث عن ورقة بيضاء !

ـ الورق في الدرج الأوسط .

ففتح جيريمي الدرج الأوسط .

وقالت مسز بيك ضاحكة :

ـ من عجب ان الناس لا يرون ما هو تحت ابصارهم !

وانصرفت وهي ما تزال تضحك !

وشاركها جيريمي في الضحك !

ولكنه كف عن الضحك فجأة حالما توارت خارج الغرفة ، وهم بأن يستأنف البحث في ادراج المكتب حين دخلت ببا .. قادمة من البهو .. وبيدها كعكة تقضمها !

قالت وهي تأكل بنهم

ـ كعكة لذيذة !

فسألها :

ـ كيف كان الحال في المدرسة اليوم ؟

ـ فوضى ! في العلوم الإجتماعية ، فلا تتحدث مسز ويلكنسون إلّا عن السياسة الدولية .. ثم إنها لا تعرف كيف تحافظ على النظام في الفصل !

ـ ما هو موضوعك المفضل يا ببا ؟

ـ علم وظائف الجسم ، انه رائع !

قالت ذلك وتناولت الكتاب من حقيبتها ، وكانت قد تركتها على أحد المقاعد !

واستطردت قائلة :

ـ امس قمنا بتشريح ساق ضفدعة .

واقتربت منه وعرضت عليه الكتاب وهي تقول :

– انظر ماذا وجدت في حانوت للكتب القديمة ؟ أنا واثقة انه ثمين .. ان عمره يزيد عن مائة عام .

– ما موضوعه ؟

– انه يتناول أشياء كثيرة ، ويلقي أسئلة ويجيب عليها ، وفيه وصفات عجيبة !

فقلب جيريمي شفتيه ، وتناول صحيفة كانت على إحدى الموائد ، وراح يتصفحها !

والقت بيبا بالكتاب على مقعد ..

واقتربت من الرفوف التي إلى يسار المكتبة ، وتناولت من الرف الأسفل مجموعة من ورق اللعب !

وقالت تحدث جيريمي :

هل تحب لعبة الكومي ؟

– كلا !

– هذا أمر يؤسف له ، فكنت أرجو أن اقتل بعض الوقت في لعب الورق ، إن الإنسان في الريف لا يعرف كيف يقضي وقته .

فقال وهو يضع الصحيفة جانباً :

– أتحبين الحياة في الريف يا بيبا ؟

– إنها أفضل من الحياة في لندن ، ثم ان هذا القصر فسيح جداً ، وبه حلبة للتنس ، وأخرى للجولف ، بل أن به أيضاً مخابىء سرية

– مخابىء سرية ؟

– نعم ، أنظر .

ونهضت إلى رفوف المكتبة ، وتناولت كتاباً ، ومدت يدها مكانه وضغطت زراً .

فتحركت مجموعة الرفوف ، ودارت على مفصلات ، وكشفت عن تجويف في الجدار خلفه باب .

قالت :

– إن هذا الباب يؤدي إلى غرفة المكتبة .

فنهض جيريمي وهو يقول :

– أحقاً !

ودخل في التجويف وفتح الباب ، ورأى المكتبة امامه ..

قال :

– هذا صحيح .

وأغلق الباب وضغطت بيبا الزر مرة أخرى ، فعادت الرفوف إلى مكانها .

قالت :

– لا أحد يتصور وجود هذا المخبأ .. اني استخدمه دائماً وامر به في طريقي من وإلى المكتبة .. انه يتسع لجثة قتيل ، اليس كذلك ؟

– أظن ان ذلك هو الغرض منه .

ودخلت كلاريسا في هذه اللحظة

فابتدرها جيريمي بقوله :

– المرأة المسترجلة كانت تبحث عنك !

– من ؟ مسز بيك ؟ لقد ضقت ذرعاً بهذه المرأة .

ورأت كعكة بيبا فتناولتها وشرعت تلتهمها !

فصاحت بها :

– مهلا هذه كعكتي

فقالت كلاريسا وهي تعطيها الكعكة :

– يا لك من مخلوقة نهمة !

ووضعت بيا الكعكة على المائدة وراحت تعبث بورق اللعب .

قال جيريمي

ــ لقد دخلت تصيح وكأنها في الجبل ، ثم القت علي درساً عن طريقة فتح ادراج المكتب .

ــ إنها مخلوقة مزعجة ، ولكنها جزء من البيت !

لقد رأيتها من نافذة غرفة نومي صباح اليوم ، كانت تحفر في أرض الحديقة مكاناً عميقاً كانه قبر !

ــ إن لها طريقتها الخاصة في زراعة حديقة القصر .

* * *

وفتح باب قاعة الطعام ، وخرج منه هوغو بـيرش وسير رولاند ، ونظر هذا الأخير إلى جيريمي بشيء من الاستياء ، فأسرع الشاب بالابتعاد عن كلاريسا .

ونظر سير رولاند عبر الباب المؤدي إلى الحديقة وقال :

ــ يخيل الي ان الجو صفا أخيراً ، ولكن الظلام قد هبط ، وليس هناك متسع من الوقت للعب الجولف ..

على أن ذلك لا يمنع من القيام بجولة في ساحة الجولف ، مـــا رأيك يا هوغو ؟

فأجاب هوغو :

ــ سآتي بمعطفي وأذهب معك .

ثم التفت إلى جيريمي

ـ وأنت أيها الشاب ، ماذا ستفعل ؟

– سارتدي معطفي وأذهب معكما !

وغادر هوغو وجيريمي الغرفة !

وفي نفس اللحظة دخل الخادم إيلجن ، لينبىء ببا بأنه أعد لها طعام العشاء في قاعة الدرس .

فهتفت الفتاة

– يا للسعادة ! كدت اسقط جوعاً !

وجمعت أوراق اللعب بسرعة .. وغفلت عن ورقة انزلقت تحت الأريكة .

ولاحظت كلاريسا ان الخادم لم يبرح مكانه .

فقالت وهي تنظر اليه متسائلة

– هل تريد شيئاً يا ايلجن ؟

– معذرة يا سيدتي ، حدثت بعض المتاعب بشأن الخضر .

– مع مسز بيك ؟

– نعم يا سيدتي ، إنها تتردد على المطبخ باستمرار ، ولا تكف عن نقد زوجتي وتوجيه الملاحظات لها !

– أنا آسفة يا ايلجن .. سأحاول أن أضع الأمور في نصابها .

– شكراً لك يا سيدتي ..

وانصرف ايلجن !

وشيعته كلاريسا ببصرها حتى أغلق الباب ، ثم هزت رأسها وتمتمت قائلة

– ما اكثر متاعب هؤلاء الناس ..

فقال سير رولاند

– من حسن حظك انك وفقت إلى ايلجن وزوجته .. من أين جئت بهما ؟

ـ من أحد مكاتب التخديم .

وفي هذه الأثناء كانت ببا قد اعادت اوراق اللعب إلى مكانها في رف الكتب وهمت بالانصراف

فصاحت بها كلاريسا

ـ خذي الكعكة معك .

فخطفت ببـــا بقايا الكعكة .. وتأهبت مرة أخرى للانصراف ، فصاحت بها كلاريسا

ـ وكذلك حقيبة الكتب .

فتناولت ببا الحقيبة وهرولت الى الخارج وشيعهـا سير رولاند ببصره وقال وهو يضحك

ـ إنك صنعت معجزة يا كلاريسا ، فالفتاة قد تغيرت تماماً .

فقالت كلاريسا وهي تتناول سيجارة من صندوق على المكتب

ـ اعتقد أنها اصبحت تحبني وتثق بي .

ـ انها صارت عادية تماماً وسعيدة .

ـ اظن ان الحياة في الريف لعبت دوراً هاماً في ذلك ، ثم انهـــا تذهب الى مدرسة ممتازة ، وأصبح لها اصدقاء كثيرون .. نعم ، اظن انها اصبحت طبيعية وسعيدة !

ـ من المزعج حقاً ان يرى الانسان طفلة في الحالة التي كانت عليهـا ببا .. لكم وددت أن اذهب إلى ميراندا وادق عنقها .

ـ الطفلة المسكينة كانت ترتجف ذعراً من أمها ..

واني لأتميز غيظاً كلما فكرت في ميراندا .. وفيما جلبته على هنري وببا من عذاب وشقاء ، كيف تستطيع امرأة ان تفعل ذلك بزوجهـا وابنتها .

ـ ذلك نتيجة ادمان المخدرات .. ان المخدرات تغير طباع مدمنيها

وأخلاقهم ..

ـ كيف حدث لها ذلك يا سير رولاند ؟ اعني من الذي أغراها بتعاطي المخدرات ، ويسر لها سبل الحصول عليها ؟

فقال سير رولاند

ـ اعتقد انه ذلك الوغد اوليفر كوستيللو ، اكبر الظن أنه من كبار تجار المخدرات .

فقالت

ـ يا له من رجل شرير ! كنت دائماً اخافه وانفر منه .

ـ انها اقترنت به ، اليس كذلك ؟

ـ اجل ، منذ حوالي شهر !

ـ على كل حال لقد تخلص هنري منها ، فهو رجل حصيف وشهم ، اجل ، فهو حصيف وشهم حقاً .

ـ هل تظنني بحاجة لأن تقول لي ذلك ؟

ـ انه لا يتكلم كثيراً ، ولكنه لطيف وراجح العقل .

وصمت قليلا ..

ثم استطرد قائلا

ـ وذلك الشاب جيريمي ، ماذا تعرفين عنه ؟

فأجابت وهي تبتسم

ـ انه لبق ومسل .

ـ آه .. ذلك ما يهم الناس في هـــذه الأيام ، كوني على حذر يا كلاريسا ولا ترتكبي حماقة .

ـ حذار يا كلاريسا ولا تقعي في غرام جيريمي وارندر .. اليس ذلك ما تعنيه ؟

ـ سيكون ذلك حماقة كبرى يا كلاريسا ، اني أعرفك منذ كنت طفلة

ورأيتك تترعرعين إلى أن اصبحت شابة جميلة .. ثم زوجة صالحة ، فأنت عزيزة علي ، ومن أقرب الناس إلى قلبي .. فإذا حدث أن وقعت في ورطة من أي نوع فلا تتحرجي من الالتجاء إلى صديقك الخاص ، الذي كان في وقت ما وصياً عليك .

– طبعاً .. طبعاً يا عزيزي رولاند .

وقبلته واستطردت قائلة :

– لا ضرورة لأن تقلق من ناحية جيري .

الفصل الثالث

لم تتمالك كلاريسا من التبسم حين رأت مسز بيك تدخـل من الحديقة بلا حذاء وبين يديها ثمرة كرنب ضخمة .

قالت المرأة :

– معذرة يا سيدتي .. إنني خلعت حـــذائي في الخارج ، حتى لا ألوث أرض الغرفة .. أرجـوك يا مسز براون ان تلقي نظرة ، على هذه الثمرة .

قالت ذلك ودفعت بالثمرة تحت أنف كلاريسا ، بطريقة تنم عن التحدي . فقالت كلاريسا :

– إنني .. لا أرى ما يعيبها .

فصاحت المرأة :

– طبعاً .. ليس بها أي عيب . إني ذهبت بها إلى الطاهية فرفضتها ، وقالت لي في خشونة « إذا لم يكن في استطاعتك ان تنتجي خضراً أفضـل فيحسن بك ان تبحثي عن مهنة أخرى » وقد استبد بي الحنق حتى هممت بقتلها

إنني لا أحب ان أذكر خدمك بسوء يا مسز براون رغم اني أستطيع أن أقول عنهم الكثير ولكني لا أريد ان أهان . ولذلك قررت ، من

الآن ، ان لا أطرق باب المطبخ ، وعلى الطاهية كل يوم ان تعد قائمة بانواع الخضر التي تريدها لليوم التالي وتتركها عند باب المطبخ .

ودق جرس التليفون في هذه اللحظة ، وكانت مسز بيك على مقربة منه فتناولت السماعة وهتفت :

– آلو .. نعم ، هذا قصر كوبلستون .. تريد مسز براون ؟. إنها هنا .

فنهضت كلاريسا من مقعدها وأطفأت سيجارتها وتناولت السماعة :

– آلو .. أنا مسز هيلشام براون . آلو .. آلو .. هذا عجيب .. يبدو المتحدث وضع السماعة .

ودخل هوغو قادماً من البهو .. وارتسمت الدهشة على محياه حين رأى مسز بيك بلا حذاء .

ولاحظت المرأة نظرته اليها فضحكت وقالت :

– أظن ينبغي ان أرحل الآن . طاب مساؤكم جميعاً .

وانتظر هوغو حتى ذهبت ثم قال :

– كم أرثي لهنري !! كيف يطيق هذه المرأة ؟

فأجابت كلاريسا وهي تتناول كتاب بيا من فوق المقعد ، وتضعه على الط ولة

– هو يرى انها شر لا بد منه .

– من عجب انها تضحك من كل قلبها كالصغار .

فقال السير رولاند :

– ذلك عرض من أعراض التخلف العقلي .

فقالت كلاريسا :

– لست أنكر انها لا تطاق ، لكنها بستانية ماهرة ، ولما كان وجودها في البيت مشروطاً في عقد الإيجار ، وكان عقد الإيجار زهيداً على نحو يبعث

على الدهشة ..

فقاطعها هوغو :

– تقولين ان الإيجار زهيد؟

– جداً ، إننا قرأنا الإعلان في الصحف ، فجئنا ، وتفقدناه واستأجرناه فوراً لمدة ستة شهور .

– من صاحبه ؟

– كان ملكاً لرجل من تجار التحف في (ميدستون) يدعى سيلون لكنه توفي .

فقال هوغو :

- تذكرت ، محل (سيلون وبراون) . إني ابتعت منه مرة مرآة نادرة كان سيلون يقيم في هذا البيت ويذهب إلى (ميدستون) كل يوم ولكني أظن انه كان يقابل عملاءه هنا أيضاً .

فهتفت كلاريسا :

– آه .. هذا يفسر ما حدث هنا أمس .. فقد أتى رجل يرتدي ثوباً صارخ الألوان ويقود سيارة جميلة مكشوفة وأراد شراء هذا المكتب ، فقلت له انه ليس ملكنا ، فلا نستطيع بيعه ، ولكنه لم يصدق فراح يرفع الثمن حتى أبلغه إلى خمسمائة جنيه .

فدهش السير رولاند وقال :

– يا إلهي !. خمسمائة جنيه ثمناً لهذا المكتب .

ونهض من مقعده ، واقترب من المكتب ، فراح يدور حوله ويفحصه .

وأقبلت بيا من البهو وقالت بلهجة الاحتجاج :

– إني ما زلت جائعة يا كلاريسا .

فصاحت في هلع :

– مستحيل !!

– إن قدحاً من اللبن وبسكويته وموزة لا تشبع نملة .

وقال السير رولاند وهو لا يزال يدور حول المكتب :

– إنه مكتب جميل ، ولكنه ليس من النوع الذي يتهافت عليه هواة التحف .

فرد هوغو ضاحكاً :

– ربما كان به درج سري يحتوي على عقد من الماس .

فصاحت بيا :

– إن به درجاً سرياً

فتحولت الأبصار إلى الفتاة الصغيرة وقالت كلاريسا :

ماذا قلت ؟

– إني وجدت في حانوت الكتب القديمة كتاباً عن الأدراج السرية في الأثاث القديم .. ففحصت كل أثاث البيت ولم أجد درجاً سرياً إلا في هذا المكتب .. أنظري .

وأسرعت إلى المكتب ، وفتحت الدرج الأوسط وأخرجته من مكانه ، ووضعته فوق المكتب ، ثم مدت يدها وحركت قطعة خشبية صغيرة في جدار المكتب ، فبرز درج صغير كان مختفياً خلف الدرج الأوسط ، فهتفت بيا وفي عينيها نظرة انتصار :

– أرأيت .

فنظر الآخرون بعضهم إلى بعض في دهشة .. وتناول هوغو الدرج وتأمله وقال

– ما هذا ؟

كانت بالدرج ورقة مطوية ، فبسطها وقرأ فيها بصوت مسموع

« خاب فألك ، إني سبقتك إلى الكنز المخبوء ! » .

فأغرقت بيا في الضحك وقال السير رولاند

– ما معنى هذا ؟

– أنا التي كتبت هذه الورقة .

– يا لك من شريرة !!

وقال هوغو

– وأين الكنز ؟

فأجابت الفتاة

– الواقع . إني وجدت مظروفاً به ثلاث ورقات على إحداها توقيع الملكة فكتوريا . ها هو ..

وبينما كانت كلاريسا تعيد الأدراج إلى مكانها في المكتب ، أسرعت بيا إلى رفوف الكتب ، وتناولت من الرف الأسفل صندوقاً صغيراً من الخشب المطعم بالصدف ، وفتحته وأخرجت منه مظروفاً قديماً يحتوي على ثلاث قصاصات مر الورق فسألها سير رولاند

– هل أنت من هواة جمع توقيعات العظماء يا بيا ؟

– نعم ، لكنها ليست هوايتي الرئيسية .

وأخرجت من المظروف ورقة قدمتها إلى هوجو واستطردت قائلة

– إن إحدى صديقاتي تجمع الطوابع ، ولدى أخيها مجموعة هائلة وفي الخريف الماضي عثر على طابع سويدي يشبه الطابع الذي على هذا المظروف قيل له انه يساوي مئات الجنيهات .

فنظر هوجو الى الورقة ، ودفع بها الى السير رولاند وتناول من بيا الورقتين الأخريين والمظروف .

ومضت بيا في قصتها عن شقيق صديقتها قالت

– فتوجه بالطابع إلى أحد التجار فقال له انه ليس نادراً جداً كما خيل اليه فأعطاه خمسة جنيهات ثمناً له .. إن خمسة جنيهات مبلغ لا بأس به ثمناً

لطابع قديم ، اليس كذلك ؟

وفحص هوجو الأوراق فقدمها للسير رولاند فقالت بيا

– كم يساوي توقيع الملكة فيكتوريا ؟

فقال سير رولاند وهو يفحص المظروف والطابع الملصق عليه :

- لا أظنه يساوي أكثر من خمسة شلنات

فقالت بيا :

- يوجد هنا أيضاً توقيع الكاتب راسكين والشاعر براوننغ . وأظن انه لا قيمة لهما ..

وأعاد اليها سير رولاند الأوراق والمظروف ، فنظرت إلى كلاريسا وقالت في توسل :

هل أستطيع أن آخذ مزيداً من البسكويت يا كلاريسا ؟

- طبعاً أيتها العزيزة !

فانطلقت الفتاة من الغرفة وتبعها هوغو ووقف بالباب ونادى :

- جيريمي .. اين انت ؟

وجاءه صوت جيريمي :

- هأنذا قادم !

وسمع هوجو وقع أقدام وهو يهبط السلم ، وما هي إلا لحظة حتى دخل حاملاً معطفه ومضرب الجوالف .

فقال هوغو وهو يشير إلى الباب المؤدي إلى الحديقة :

– هلم بنا من هنا .. طاب مساؤك يا كلاريسا ، وشكراً على حسن ضيافتك !

وقال جيريمي وهو يتبعه :

- طاب مساؤك يا كلاريسا ..

وما أن خرجا حتى اقترب سير رولاند من كلاريسا !

وقال وهو يربت بساعده :

- طاب مساؤك يا كلاريسا .. قد لا أعود أنا وجيريمي قبل منتصف الليل .

قالت :

- ألا يضيركما حقاً أن تتناولا العشاء الليلة في النادي !

فرد السير رولاند :

- بتاتاً .. ذلك خير ما يمكن عمله ، طالما خدمك في اجازة الليلة ..

- إن الجو رائع .. دعني أرافقك حتى حلبة الجولف .

الفصل الرابع

دق جرس الباب الخارجي ، ففتحه ايلجن ، ورأى أمامه شاباً أنيقاً في العقد الثالث من عمره ، قد لوحت الشمس بشرته .

قال الشاب :

– اني جئت لمقابلة مسز براون .

– تفضل بالدخول يا سيدي ، اي اسم اذكر لها ؟

– قل لها مستر كوستيللو !

– من هنا يا سيدي !

وتقدم ايلجن الزائر إلى قاعة الاستقبال ، ودهش حين لم يجـــد بها أحداً !

قال للزائر :

– هلا تفضلت بالانتظار لحظة يا سيدي حتى أدعو السيدة ؟ أنا واثق انها في مكان مـــا بالبيت .. ما هو الاسم يا سيدي ؟ مستر كوستيللو ؟

– نعم . اوليفر كوستيللو .

ولم يكد إيلجن يغادر الغرفة ويغلق الباب وراءه ، حتى أجال الشاب بصره حول الغرفة بسرعة !

ثم انصت بباب الردهة ، وفعل مثل ذلك بالباب المؤدي إلى المكتبة !

ولما اطمأن إلى عدم وجود أحد على مقربة ، أسرع إلى المكتب وانحنى فوقه ونظر إلى أدراجه ..

ولكنه ما لبث أن سمع وقع اقدام تقترب ، فترك المكتب وهرول إلى أحد المقاعد .

وما كاد يفعل ، حتى دخلت كلاريسا قادمة من الحديقة .

رأته وجمدت في مكانها وهتفت في دهشة :

– انت .

ولم يكن هو أقل منها دهشة ، إذ صاح :

– كلاريسا !! ماذا تفعلين هنا ؟

– يا له من سؤال سخيف ! أنا هنا في بيتي .

– أهذا بيتك ؟

– لا تتظاهر بانك لا تعرف .

فقال كوستيلو وهو ينظر حوله في قحة :

– بيت جميل .. كان ملكاً لرجل عجوز من تجار التحف ، اليس كذلك ! اذكر انه جاء بي إلى هنا مرة ليعرض علي بعض المقاعد الأثرية .

قال ذلك وأخرج علبة سجائره من جيبه وقال :

– هل لك في لفافة ؟

– كلا .. شكراً لك ، أظن من الأوفق أن تنصرف ، انني أتوقع عودة زوجي بين لحظة واخرى ، ولا أظنه سيكون سعيداً برؤيتك .

فقال بمزيد من القحة :

– ولكني أريد ان اراه ، والواقع انى ما جئت إلا لذلك ، أريد أن

اتحدث اليه عسى أن نصل معاً إلى اتفاق ..

– اتفاق ؟ اي اتفاق ؟

– بشأن ببا ، فليس لدى ميراندا اي مانع من أن تقضي ببا إجـازة الصيف مع هنري . بل وتقضي معه ايضاً اسبوعاً من اجازة عيد الميلاد ، وفيما عدا ذلك .

فقاطعته قائلة بحدة :

– ماذا تعني ؟ هنا بيت ببا .. ولا يمكن أن تقيم في اي مكان آخر سواه .

– ولكن هل نسيت يا عزيزتي أن المحكمة قد قضت لميراندا بحضانـة ابنتها ؟

قال ذلك وتناول زجاجة ويسكي كانت على المائدة وملأ قدحـاً ، واستطرد قائلاً

– لقد صدر الحكم غيابياً ، لان هنري لم يحضر الجلسة كما لعلك تذكرين !

– وأنت تعلم ايضاً لماذا لم يحضر الجلسة .. عندما تفاهم هنري وميراندا على الطلاق .. كان من المتفق عليه بينهما ان تظل ببا مع أبيها

– لا شك انك لا تعرفين ميرندا جيداً .. انها تغير رأيها بين لحظة وأخرى .

– انا لا أصدق ابداً أن ميراندا تريد ابنتها او تهتم بأمرها .

– ولكنك لست أماً يا عزيزتي كلاريسا .. وارجو أن تسمحي لي بأن ادعوك كلاريسا .. فقد أصبحنـــا بعد زواجي من ميراندا شبه أقارب .

واحتسى الشراب دفعة واحدة ووضع القدح على المائدة .

واستطرد قائلا

– اؤكد لك ان ميراندا تشعر بحنين شديد إلى ابنتها .

– لا اصدق ذلك !

فقال كوستيللو وهو يجلس على أحد المقاعد

- على رسلك ، ولكنك تعلمين على الأقل انه لم يكن هناك اي اتفاق بينهما بشأن ببا .

– أنا ان أسمح لكما بأخذ ببا .. انها كانت حطاماً ، ولكنها تحسنت الآن ؛ وهي راضية عن حياتهـــا وسعيدة في مدرستها ، وستبقى حيث هي .

– ماذا بوسعك عمله لفرض إرادتك أيتها العزيزة ؟ إن القـــانون في جانبنا كما تعلمين .

فصاحت

– ماذا وراء كل هذا ؟ ماذا تريد حقاً ؟ آه .. يا لي من غبيـــة !! كيف فاتني ان ادرك ذلك ؟ انها عملية ابتزاز اليس كذلك ؟

* * *

وفي هذه اللحظة دخل ايلجن قادماً من البهو .

قال

– كنت أبحث عنك يا سيدتي .. هـل استطيع الانصراف مع زوجتي الآن ؟

– نعم يا ايلجن !

فسأل وعيناه ترمقان كوستيللو

– هل انتظر حتى اغلق ابواب هذه القاعة يا سيدتي ؟

ـ لا ضرورة لانتظارك .. سأقوم بذلك .

ـ شكراً لك يا سيدتي ، طاب مساؤك .

ـ طاب مساؤك يا ايلجن .

وانتظر اوليفر حتى غادر الخادم الغرفة .

ثم استأنف الحوار بقوله

ـ الابتزار كلمة قبيحة جداً يا كلاريسا .. هل أنا تكلمت عن نقود ؟

ـ انك لم تتكلم عنها بعد ، ولكن ذلك ما تهدف اليه !

ـ صحيح ان وضعنا المالى ليس على ما يرام ، وميراندا سيدة مبذره كما تعلمين ، وأظن انها تعتقد ان هنري لا يمانع في زيادة النفقة المقررة لها ، خاصة وانه شخص غني !

فقالت بحدة ، وهي تحدجه بنظرة صارمة

ـ أصغ الي يا مستر اوليفر ، اني لا اتكلم عن هنري .. وإنما اتكلم عن نفسي ، وأريدك ان تعلم انك إذا حاولت انتزاع بيبا من هذا البيت ، فاني سأناضلك إلى آخر رمق ، وبكل سلاح ممكن ، ولن يتعذر علي الحصول على شهادة طبية تثبت ان ميراندا مدمنة مخدرات ، بل ولن أتردد في الذهاب الى اسكتلنديرد ، ومطالبة إدارة مكافحة المخدرات بمراقبتك .

ـ لا أظن ان هنري سيرضى عن وسائلك .

ـ لا يهمني رضاؤه ، كل ما يهمني هو مصلحة الفتاة ، اني لا اريدها أن تمر بالأهوال والمخاوف التي تعرضت لها قبل الآن .

* * *

ودخلت ببا في هذه اللحظة ..
وهي تقول
ـ كلاريسا ، هل تعلمين انني لم اجد شيئاً من البسكويت ؟

ثم وقع بصرها على اوليفر !
وجمدت في مكانها !
وارتسم الذعر في عينيها !
فقال الشاب وهو يصعدها بعينيه ويبتسم
ـ هالو ، ببا ارى انك كبرت وترعرعت !
ونهض عن مقعده واقترب منها !
فتراجعت الفتاة ومضى اوليفر يقول
ـ انني جئت الآن لأتحدث بشأنك ، وامك في شوق الى رؤيتك وتريدك ان تقيمي معها ، أو على الأصح ، تريدك ان تقيمي معنا ، فقد تزوجنا و .

فاندفعت الفتاة نحوها وهي تصيح :
ـ لن اذهب اليها ، لن اذهب اليها .
فقالت وهي تحيطها بساعديها :
ـ اطمئني يا بنية ، إن مكانك هنـــا ، مع أبيك ، ومعي ، ولن أدعك تذهبين !
فحاول اوليفر الاقتراب من الفتاة مرة اخرى وهو يقول :
ـ اؤكد لك أن !
فقاطعته بأن صاحت

ـ دع الفتاة واذهب من هنا ، فوراً .. لا اريد أن اراك في بيتي مرة اخرى ، هل سمعت ؟
وقبل أن يتمكن اوليفر من الأجابة ..

دخلت مسز بيك من باب الحديقة وبيدها فأس ، وقالت دون ان تفطن إلى وجود الزائر

مسز هيلشام براون ، اني ..

فقالت وعيناها تقدحان شرراً

مسز بيك .. هلا تفضلت بمرافقة مسز كوستيلو إلى الطريق عبر الحديقة الى الخارج !

فنظر اوليفر الى المرأة الضخمة التي تقف بالباب وبيدها فأس وغمغم قائلا .

-- مسز بيك !

ـ نعم يا سيدي .. انا المشرفة على الحديقة هنا !

ـ هذا صحيح .. اني جئت الى هذا البيت مرة قبل الآن لشراء بعض التحف .

ـ لعلك فعلت ذلك في عهد مستر سيلون ، ولكنك لن تستطيع مقابلته الآن ، لأنه توفي .

ـ اني لم اجيء لمقابلته ، انما اتيت لمقابلة مسز براون .

ـ هأنذا قد رأيتها !

فتحول اوليفر الى مسز براون فقال

ـ الى اللقاء يا سيدتي ، سوف نلتقي مرة اخرى قريباً ..

فقالت مسز بيك وهي تتقدمه الى الحديقة

ـ من هنا يا مستر كوستيللو ، هل ستستقل الأوتوبيس ام ان لديك سيارة ؟

فقال وهو يسير في اعقابها

ـ بل لدي سيارة تركتها بالقرب من الحظيرة .

وما ان خرجا حتى نظرت بيبا الى كلاريسا بعينين تترقرق فيهما

الدموع وصاحت

ـ اني امقته ، كنت دائماً امقته .. انه سيأخذني من هنا .

ـ بيا !

لا أريد للعودة الى امي ، انني اؤثر الموت على العودة اليها ، كم أتمنى ان اقتله .

فصاحت بها كلاريسا مؤنبة

ـ بيا !

فقالت الفتاة وقد تملكتها نوبة هستيرية

ـ سأقتل نفسي ، سأقطع شرايين يدي وانزف حتى اموت .

فأمسكت كلاريسا بكتفيها وصاحت بها

ـ تمالكي نفسك يا بيا ، قلت لك انه لن يحدث لك شيء طالما انا هنا .

فقالت بيا

ـ لا اريد العودة الى امي ، انني اكره اوليفر من كل قلبي ، انه شرير ، شرير !

فقالت كلاريسا

ـ اعلم ذلك ايتها العزيزة ، فاهدأي بالاً !

تمتمت بيا

ـ ليت صاعقة تنقض عليه وتقتله !

ـ ربما يحدث ذلك . فتمالكي نفسك ، سيكون كل شيء على ما يرام !

فجففت بيا دموعها في ثوب كلاريسا !

وضحكت هذه وقالت

ـ والآن اذهبي إلى الحمام واغتسلي .. اغتسلي جيداً .

ـ انك لن تدعيه يأخذني ، اليس كذلك ؟

فقالت في حزم

ـ لن يصل اليك إلا فوق جثتي ، هل اطمأننت الآن ؟

فاطرقت بيا برأسها !

وقبلت كلاريسا جبينها

ثم قالت

ـ اذهبي الآن !

الفصل الخامس

ما إن انصرفت الفتـاة حتى تمددت كلاريسا على الأريكة واستغرقت في التفكير ، ولكنها بعد لحظة سمعت البـاب الخارجي يفتح ثم يغلق ، والتقطت أذناها صوت وقع أقدام تعرفها جيداً فاعتدلت في جلستهـا وهتفت :

– أهذا أنت يا هنري ؟

وسمعت صوت زوجها في البهو وهو يرد :

– نعم أيتها العزيزة ..

ثم رأته مقبلاً نحوها

كان هنري هيلشام براون رجلاً أنيقاً وسيماً في الأربعـين من عمره ، لا يكاد وجهه ينم عن شيء شأنه في ذلك شأن أمثـاله من رجـال السلك السياسي .

وكان يحمل في يده حقيبة أوراق ، فأضاء النـور ووضع الحقيبة على مقعد وانحنى ليقبل كلاريسا .. فقالت :

– كان يوماً مضنياً ، أليس كذلك ؟

– إلى حد ما .

– هل تريد شراباً ؟

فقال وهو يسدل الستار على الباب المؤدي إلى الحديقة :

ليس الآن

ثم تحول اليها وسأل

– ألا يوجد أحد في البيت ؟

– كلا .. لا أحد .. واليوم إجازة ايلجن وزوجته .. وسيقتصر العشاء على اللحم البارد والحلوى . ولكن القهوة سوف تروقك لأنني سأصنعها لك بنفسي .

– ماذا ؟

وأدهشها شرود ذهنه فقالت :

– هل هناك ما يشغلك يا هنري ؟

فصمت قليلاً ثم أجاب :

– نعم . إلى حد ما !

– هل ثمة متاعب من ناحية ميراندا ؟

– كلا .. كلا . لا مشاكل على الإطلاق .. بل ان الأمر على عكس ذلك تماماً .

فقالت وهي تنظر اليه بامعان ·

– يخيل إلي أن وراء الجمود الدبلوماسي نوعاً من الانفعالات الإنسانية .. فهل أنا على صواب ؟

– الواقع ان الأمر مثير إلى حد ما . لقد كان الضباب في لندن كثيفاً اليوم .

– وهل في ذلك ما يثير

– كلا . ليس الضباب طبعاً !

– إذن ؟

فنظر هنري حوله بسرعة ، ثم جلس على الأريكة بجوار كلاريسا

– إن مـا سـأقوله لك الآن ، سر .. ويجب ألا تبوحي بـه لأحد ..

– كن مطمئناً .

– إنه سري للغاية . والمفروض ألا يعلمه أحد، ولكني أرى من الضروري أن أصارحك به .

– تكلم .. إني مصغية

فنظر هنري حوله مرة أخرى ..

ثم قال بصوت خافت :

– إن كالندورف في طريقه الآن إلى لندن بالطائرة ، للاشتراك في مؤتمر يعقد غداً .

لكن هذا النبأ لم يترك في نفس كلاريسا أي أثر .

فقالت :

– أعلم ذلك .

فقال في دهشة :

– كيف ؟ كيف علمت ؟

– إنني طالعت النبـأ ، في إحـدى الصحف ، يوم الأحـد الماضي .

– الحق انني لا أعرف لـماذا تقرأين هذه الصحف الصفراء !!.. مهما يكن من أمر فإن الصحف لا يمكن ان تكون قد علمت بنبأ حضور كالندورف ، فذلك سر من أسرار الدولة .

فقالت كلاريسا ضاحكة :

– سر من أسرار الدولة ، حقـاً !!. ما أشد سذاجة الموظفـين الكبار !!

فنهض واقفاً وقال وهو يذرع أرض الغرفة

لا بد ان النبأ تسرب بطريقة ما .

– أيها العزيز .. إن الأنباء مهما بلغت خطورتها وسريتها ، تجــد دائماً منفذاً تتسرب منــه .. تلك حقيقة ، يجب ان تروض نفسك عليها !

إن النبأ لم يذع رسمياً إلا هذا المساء ، ومن المنتظر ان تهبط طائرة كالندورف بمطار (هيثرو) في الساعة الثامنة والدقيقة الأربعين .. ولكن ؟.

وانحنى إلى الأمام وقال بصوت خافت :

– هل استطيع الاطمئنان إلى كتمانك يا كلاريسا ؟

– إني أكثر كتماناً من أية صحيفة من صحف الأحد !

حسناً ، إن المؤتمر سيعقد غداً .. ولكن لا بد لضمان نجـاحه ان تجري محادثات خاصة بين سير جون ومستر كالندورف .

غير ان مندوبي الصحف ووكالات الأنباء يملأون المطار الآن .. وما ان يهبط كالندورف من الطائره حتى تصبح أخباره وتحركاته ملء الافـواه والأسماع ..

ولكن ، من حسن الحظ ، ان الضبـاب انتشر ، على غـير انتظـار .

– إمض في حديثك ، فقد بدأت أشعر بالفضول .

– ولذلك ، سيجد قائد الطائرة في آخر لحظة ، ان الهبوط بمطار (هيثرو) غير مأمون .. فيتجه بطائرته ، كما هي العادة ، في مثل هذه الأحوال إلى ..

– إلى مطار (بلندلي هيث) .. الذي يبعد عن هنا ، خمســة عشر ميلا .

- إنك سريعة الفهم ، عادة الذكاء دائماً يا كلاريسا .. نعم ، ستهبط الطائرة بمطار (بلندلي هيث) وسأستقل السيارة إلى المطار ، لأستقبل كالندورف وآتي به إلى هنا ، وسيحضر سير جون بالسيارة من لندن إلى هنا مباشرة .

وسيجتمع الرجلان في هذا البيت ، ولن يستغرق إجتماعهما أكثر من عشرين دقيقة ، ومن ثم يعود كالندورف ، مع سير جون ، إلى لندن .

وتردد قليلاً ثم استطرد قائلاً :

- هل أقول لك شيئاً يا كلاريسا ؟ . إني أتوقع أن تؤدي هذه الظروف إلى دعم مستقبلي .. فاجتماع الرجلين هنا ، دليل على الثقة في إخلاصي وكتماني .

فوثبت كلاريسا إلى زوجها وقالت وهي تحيط عنقه بساعديها :

- ما أروع هذا يا عزيزي هنري !! .

- بهذه المناسبة .. إن الإسم الذي سيعرف به كالندورف خلال وجوده في هذا البيت هو مستر جونز .

- مستر جونز ؟

- نعم ! . فقد رؤي من الحكمة ، ألا يعرف هنا ، باسمه الحقيقي .

- مستر جونز !! . أما كان في استطاعتهم اختيار اسم أفضل من هذا؟ . ثم ماذا سيكون موقفي ؟ . هل سأتوارى في الحريم ، أم أحضر الشراب وأحيي الضيفين ثم أنسحب بلباقة ؟

فقال هنري بشيء من القلق :

- هذا موقف يتطلب الجدية يا عزيزتي .

- إنني جادة تماماً يا هنري !! . كل ما أريده هو ان أعرف الدور الذي

يراد مني ان أقوم به .

فرد هنري بعد تفكير :

ـ الرأي عندي ان تتواري يا كلاريسا .

ـ حسناً !. وماذا عن الطعام ؟. هل سيتناولان شيئاً ؟

ـ كلا .. ليست هناك أية فكرة عن تناول طعام .

ـ ما قولك في بعض شطائر اللحم البارد ، وبعض القهوة ؟. أظن أن ذلك أفضل .

أما أنا فإنني سأقبع في مخدعي وأعزي نفسي عن عدم شهود المؤتمر باحتساء قدح من الكاكاو .

فقال وهو ينظر اليها عاتباً :

ـ يا الله يا كلاريسا ، أما كففت عن الدعابة ؟

فأحاطته بساعديها وقبلته وهي تقول

ـ إطمئن أيها العزيز ، سيكون كل شيء على ما يرام .

ـ وماذا عن رولاند ؟

ـ إنه وجيريمي سيتناولان العشاء مع هوجو في النادي ، ومن ثم يشترك ثلاثتهم في لعب (البريدج) .. ولا ينتظر ان يعودوا قبل الساعة الحادية عشرة ..

ـ كل هذا حسن .. عندما يعودون ، يكون سير جون ومستر ..

وبحث في ذاكرته عن الاسم المستعار لكالندورف ، فسارعت كلاريسا إلى نجدته قالت

ـ ومستر جونز .

ـ تماماً .. سيكونان قد انصرفا منذ وقت طويل .

ثم نظر إلى ساعته وقال

ـ أظن ، أنه يحسن بي ان أغتسل ، قبـــل ان أبدأ رحلتي إلى المطـار !

ـ أما أنا فسأذهب لإعداد الشطائر ..

وانطلقت مسرعة إلى البهو .. بينما تنـاول هنري حقيبة أوراقه وهم بالخروج في أثرها ثم عاد أدراجه وقال وهو يطفىء مصابيح القاعة الواحد تلو الآخر

ـ يجب مراعاة الاقتصاد في الكهرباء ، يا كلاريسا .. اننـــا هنا ، ندفع قيمة الاستهـــلاك .. على عكس ما كان الأمر ، في لندن .

ولما فرغ من إطفاء الأنوار ، غادر الغرفة ، وأغلق بابهـــا وراءه .

سبحت الغرفة في الظلام ، ولم يكن هناك مـا ينيرها سوى أشعة القمر الباهتة المنبعثة من الباب المؤدي إلى الحديقة .

وما هي إلا لحظة .. حتى تسلل أوليفر كوستيللو من هذا البـــاب ، وأجال بصره في جوانب القاعة .. ولما لم يجد بها أحداً أزاح الستار ليسمح لأشعة القمر بالدخول .

ثم تسلل الى المكتب ، وأشعل مصباحاً كهربياً أحضره معـــه ، وفتح الدرج الأوسط ، ثم الدرج السري ، ويبـــدو انه سمع حركة خارج الغرفة ، لأنه أطفأ مصباحه على الفور ، ووقف في مكانـــه لا يبدي حراكاً ..

ولما اطمأن .. أضاء مصبـــاحه ، مرة أخرى ، ونظر في الدرج السري ، ووجد به ورقة مطوية .. فدسها في جيبه دون ان يرى ما فيها .

وفي هذه اللحظة .. تحركت مجموعة رفوف الكتب ببطء ، وامتدت من

خلفها يد ممسكة بعصا .

وشعر أوليفر بحركة خلفه فاستدار بسرعة وهو يتمتم :

— ما .

ولم يتم عبارته ، فقد هوت العصا على رأسه بضربة قوية ، جعلته يترنح ويسقط خلف المكتب .

وفي نفس اللحظة ، علا صوت كلاريسا ، خارج الغرفة ، وهي تصيح :

— ألا تريد شطيرة قبل أن تذهب يا هنري ؟

وفتح هنري باب قاعة الاستقبـــال ، ودخل وهو يمسح زجاج نظارته .

ثم أخذ يملأ علبة سجائره من صندوق على المائدة .

صاح بصوت مرتفع لكي تسمعه زوجته :

— كلا .. أظن انني يجب ان أرحل الآن .

فقالت كلاريسا وهي تدخل الغرفة :

— ولماذا العجـــلة .. إن الطريق ، لا يستغرق أكثر من عشرين دقيقـة .

— من يعلم ؟. قد تصاب السيارة بعطل ، او قـــد ينفجر أحد إطاراتهـا .

— ولم هذا التشاؤم ؟. لماذا تنتظر السوء دائماً ؟

— أين بيبا ؟ إنني لم أرها .

— إنها في قاعة الدرس ، وسألحق بها بعد قليـل ، لنتناول طعام العشاء معاً ..

— ما أكرمك يا كلاريسا ، وما أشد عطفك عليها .. هذه إحدى خصالك النبيلة التي أحمدها لك وأعجز عن شكرك عليها ، فقد عانينا كثيراً

لكن ذلك قد انتهى بفضلك .

وقبلها ، فقالت وهي تدفعه نحو باب الردهة :

– إذهب الآن لمقابلة مستر جونز . ما زلت أعتقد انه أسوأ اسم وقع عليه اختياركم . هل ستدخلون من البـاب الرئيسي ؟ إذا كان ذلك فسأتركه مفتوحاً .

– كلا ، أظن من الأوفق أن ندخل من الحديقة .

– يحسن بك ان ترتدي معطفك ، فالجو يميل إلى البرودة .

– سأفعل يا عزيزتي .

- وتوخ الحذر في قيادة السيارة .

فنظر اليها وابتسم :

إلى اللقاء أيها العزيز .

– إلى اللقاء .

ورافقته كلاريسا إلى الباب الخارجي ، ثم هرولت إلى المطبخ حيث أعدت الشطائر ، ووضعتها في صحفة كبيرة ، حملتها إلى قاعـــة الاستقبال .

ثم شرعت في تنظيم وسائد الأريكة والمقاعد .

ووقع بصرها على كتاب بيا ، فتناولتـــه . وذهبت به إلى رفوف الكتب .

ولكنها تعثرت في جثة اوليفر ، وأفلتت من فمها صيحة ذعر . .

وجمدت في مكانها لحظة ، ثم انطلقت تعدو الى الخارج ، ولكنها مــا لبثت ان توقفت ، وعادت أدراجها وانحنت فوقهـا ، وعرفت صاحبها ، وتمتمت :

– اوليفر .

وأسرعت إلى الباب المؤدي إلى الحديقة لكي تدعو هنري ، ثم أدركت

أنه ذهب ولن يصل اليه صوتها

فعادت إلى الجثة ونظرت اليها مرة أخرى ، وأسرعت إلى جهـــاز التليفون وأدارت رقماً ..

ثم ترددت ووضعت السماعة

وبعد تفكير سريع ، أمسكت بقدمي الجثة وأخذت تسحبها

ولكن رفوف الكتب تحركت ، مرة أخرى ، وبرزت بيـا من الفجوة .

كانت ترتدي غلالة فوق بيجامتها .

فأسرعت كلاريسا بالوقوف بينها وبين الجثة ، وحاولت أن تدفعها بيدها بعيداً ، وهي تقول :

- لا تتطلعي يا بيا ، لا تتطلعي !

فقالت الفتاة بصوت مختنق :

لم أكن أريد ذلك حقاً ، لم أكن أريد ذلك !

فأمسكت كلاريسا بساعدي الفتاة وصاحت في فزع :

ـ أنت التي ؟ .

فقاطعتها بيا وقد عاودتها النوبة الهستيرية :

ـ إنه مات ، اليس كذلك ؟ ولكني لم أرد قتله .

وانخرطت في البكاء .

فقالت كلاريسا في هدوء :

- رفهي عنك يا بنية ، رفهي عنك ، تعالي واجلسي .

وقادتها إلى أحد المقاعد وأجلستها عليه .

قالت الفتاة وهي تنشج بالبكاء :

ـ أؤكد لك انني لم أرد قتله .

فقالت كلاريسا وهي تركع بجوارها :

- طبعاً ، أيتها العزيزة !. طبعـــاً !. إصغي إلي جيداً ، يا بيا ..

ولكن الفتاة لم تكف عن البكاء بصوت مسموع .

فصاحت كلاريسا

- كفى يا بيا !. كفى !. واصغي إلي .. كل شيء سيكون على ما يرام ، فحاولي ان تنسي هذا الموضوع .. إنسيه تماماً !. هـــل سمعتني ؟

- نعم ، ولكن أنا ..

- بيا !. يجب أن تثقي بي .. وان تصدقيني .. قلت لك أن كل شيء سيكون على ما يرام ، انما ينبغي ان تتشجعي ، وان تفعلي ما أقوله لك .

فأشاحت الفتاة بوجهها ولم ترد .

فقالت كلاريسا

- بيا .. هل ستفعلين ما أقوله لك ؟

فأجابت الفتاة وهي تدفن وجهها في صدر كلاريسا

- نعم .

- حسناً !. أريدك الآن ان تصعـــدي الى غرفتك ، وتأوي الى فراشك .

- هل ستأتين معي ؟

فقالت كلاريسا وهي ترافقها الى باب الغرفة

- نعم .. نعم ، سألحق بك حالما أستطيع .. وسأعطيك قرصاً صغيراً يساعدك على النوم ، وعندما تستيقظين غداً صباحاً ، ستجدين ان الأمر يختلف تماماً عما هو الآن .. وربما لن يكون هناك ما يقلقك أو يزعجك

ـ ولكنه مات ، اليس كذلك ؟ انه مات .

ـ كلا .. من المحتمل انه لم يمت .. على اني سأتحقق من الامر .. المهم الآن ان تذهبي الى غرفتك وان تنامي .

فانصرفت الفتاة وهي لا تزال تبكي ..

وتنهدت كلاريسا وقالت تحدث نفسها

ـ لنفترض .. انني وجدت جثة ، في قاعة الاستقبـــال ، فماذا أفعل ؟ .

الفصل السادس

حينما عاد سير رولاند وهوجو وجريمي بعد نحو ربع ساعة ، كان كل شيء في قاعة الاستقبال على حاله ، فيما عدا مائدة نقلت من مكانها إلى وسط القاعة .. وضعت عليها أوراق اللعب والفيشات وغير ذلك من مستلزمات لعبة البريدج ، كما وضعت حولها أربعة مقاعد .

هتفت كلاريسا حالما وقع بصرها على الرجال الثلاثة :

– حمداً لله .. فقد خشيت ألا تأتوا ..

فقال سير رولاند :

– ماذا حدث أيتها العزيزة ؟

فردت تحدثهم جميعاً :

– أيها الأصدقاء .. يجب ان تساعدوني

فقال هوجو :

– أفصحي يا بنية ماذا حدث ؟

– حدثت كارثة ، فهل ستساعدونني ؟

فرد سير رولاند :

- سنساعدك طبعاً ، لكن ماذا حدث ، تكلمي يا كلاريسا

فقال جيريمي ضاحكاً :

إن من يسمعك يخيل اليه انك عثرت بجثة قتيل .

فردت كلاريسا

ذلك ما حدث تماماً . . فقد عثرت على جثة قتيل .

فقال هوجو

ــ ماذا تعنين ؟

ــ أعني ما قاله جريجي . فقد دخلت هــــذه الغرفة . ووجدت بها جثة قتيل .

فقال هوجو وهو ينظر حوله :

ــ ألا تكفين عن المزاح ؟. اين الجثة ؟

ــ إني لا أمزح ، فالجثة هنا ، وراء المكتب .

فأطل جريجي فوق المكتب وقال :

ــ هذا صحيح .

وهرول سير رولاند وهوجو إلى المكتب وتتطلعا خلفه ، فران عليهما السكون لحظة .

فقال رولاند

ــ ولكن ، هذه جثة أوليفر كوستيللو .

فردت كلاريسا ·

ــ نعم .

ــ وماذا كان يفعل هنا ؟

ــ إنه أتى بعد انصرافكم مباشرة لكي يتحدث بشأن بيبا .

ــ وما شأنه ببيبا ؟

ــ لقد هدد بأخذها ، لكن ذلك لا يهم الآن ، المهم هو ان نسرع بالعمل فالوقت ضيق .

فاقترب منها سير رولاند وقال

– مهلاً . مهلاً ! ينبغي ان نعرف الحقائق بوضوح . ماذا حدث بعد ذلك ؟

– قلت له انه لن يأخذها ، فانصرف .

– ثم عاد مرة اخرى ؟

– يخيل إلي ذلك !

– ولكن كيف عاد ؟ ومتى ؟

– لا أعلم ، قلت لكم انني دخلت الغرفة فوجدته هكذا .

فانحنى سير رولاند فوق الجثة وتأملها طويلاً ، دون ان يمسها ، ثم قال

– إنه مات !. فلا بد ان أحدهم ضربه على رأسه بأداة ثقيلة حادة ، هذا حادث قذر سوف يترتب عليه كثير من المشاكل والمضايقات .. وليس أمامنا ما يمكن عمله ، سوى شيء واحد .. وهو ان نخطر الشرطة .

قال ذلك وأمسك بسماعة التليفون .

فصاحت كلاريسا

– كلا ..

– ذلك ما كان ينبغي ان تفعليه لأول وهلة يا كلاريسا .. ولكني لا أعتقد انهم سينحون عليك باللوم لإبطائك في إبلاغهم .. إن عذرك واضح .. وهو الذعر والذهول ، اللذان استوليا عليك ، عندما وجدت الجثة .

فهرولت اليه كلاريسا ، وتناولت السماعة من يده ، أعادتها إلى مكانها ، وهي تصيح

– كلا يا رولاند ، كلا !

– ولكن يا بنيتي العزيزة ..

ـ كان في استطاعتي أن أبلغ البوليس بنفسي إن انا أردت ، فهـــذا هو الإجراء الطبيعي الذي ينبغي ان يتبع في مثل هذه الأحوال . والواقع إني رفعت السماعة ، وأدرت رقم البوليس لكني عدلت واتصلت بكم في النادي ، ورجوتكم ان تحضروا على عجل ..

ـ إذن دعي الامر لنا ، وسوف ..

ـ انك لم تفهمني بعد .. ألم تطلب الي ان ألجأ اليك وان أطلب معونتك إذا أنا وقعت في مأزق ؟

ثم أجالت بصرها بين الرجال الثلاثة وقالت

ـ عليكم ان تساعدوني أيها الاصدقاء .

فقال جريجي وهو يقف أمام الجثة ليحجبها عن عيني كلاريسا

ـ ماذا تريديننا ان نفعل يا كلاريسا ؟

ـ أريدكم ان تتخلصوا من الجثة .

فصاح رولاند

ـ لكن هذا جنون ! اننا أمام جريمة قتل .

فردت كلاريسا

ـ ان ما يهمني في المقام الاول هو ألا تظل الجثة بالبيت .

فقال هوجو .

ـ انك تهرفين بما لا تعرفين أيتها الإبنة العزيزة .. لا بد انك أسرفت في قراءة القصص البوليسية . ولكن ما يحدث في الحياة الواقعية يختلف تماماً عما تقرأينه في القصص .. في الحياة الواقعية محظور عليك ان تنقلي الجثة وان تعبثي بشيء في مكان الجريمة .

ـ ولكنني حركت الجثة فعلا .. دحرجتها كي أتحقق من ان صاحبها قد مات .. ثم جذبتها من مكانها ، كي أخفيها في الفجوة خلف رفوف المكتب ولكنني شعرت بأني لا استطيع ان أفعل ذلك بمفردي فاتصلت بكم ، وبينما

كنت في انتظاركم تفتق ذهني عن خطة .

فقال جريمي

– خطة قوامها لعبة البريدج ؟

– نعم ، ذلك سبيلنا الوحيد للخلاص !

فنظر اليها رولاند متسائلا .

ثم قال :

– كيف ذلك

– اني وضعت أوراق اللعب على المائدة بطريقة بوحي بأننا قطعنا شوطاً كبيراً في لعب البريدج

– لا شك انك جننت يا كلاريسا .

– اني وضعت الخطة بدقة وإحكام ، يجب نقل الجثة من هنا ، وهذه مهمة يجب أن يتعاون فيها شخصان ، لأن الجثـــة متصلبة ، ومن العسير التعامل معها ، فقد اكتشفت ذلك بنفسي .

فقال هوغو

– وإلى أين تريديننا أن نذهب بها ؟

– أفضل مكان فيما أعتقد هو غابة (مارسدن) ، انها لا تبعد عن هنا اكثر من ميلين ، اتجهوا يساراً بعد أن تخرجوا من الباب الرئيسي ، ثم انحرفوا في الطريق الجانبي وهو طريق شبه مهجور ، ومـــا عليكم إلا أن تتركوا السيارة عند حافة الغابة ، ثم تعودون سيراً على الأقدام .

فقال جيريمي :

– هل معنى ذلك أن نلقي بالجثة في الغابة ؟

– كلا ، اتركوها في السيارة ، إنها سيارته ، وقد أوقفها بالقرب من الحظيرة ، إن الأمر في منتهى السهولة والبساطة ، وإذا اتفق أن رآكم أحد خلال عودتكم من الغابة ، فـــإنه لن يتعرف عليكم بسبب الظلام ،

وثمة ما يثبت انكم لم تغادروا البيت .. فقد كنا جميعاً نلعب البريدج طول المساء .

فنظر الجميع اليها في ذهول .

فاستطردت قائلة :

– وعليكم أن تلبسوا قفازات حتى لا تضعوا بصمات أصابعكم على أي شيء ، فقد أعددت لكم ثلاثة قفازات .

فقال سير رولاند

– إن مواهبك الاجرامية تذهلني .

وقال جيريمي :

– الحق انك دبرت كل شيء ، ووفرت علينا مؤونة التفكير .

وكان هوغو لا يزال يضرب اخماساً لأسداس .

وما لبث أن قال :

– كل هذا هراء ..

ولكنها تجاهلته ..

ومضت تقول :

– إنما يجب أن نسرع ، فليس لدينا متسع من الوقت ، في الساعة التاسعة سيحضر هنري ومعه مستر جونز .

فقال سير رولاند :

– مستر جونز ؟ ومن يكون مستر جونز ؟

فوضعت يدها على جبينها وأغمضت عينيها ..

ثم قالت في ضجر :

– يا إلهي ! ما اكثر الايضاحات التي يجب أن يدلي بهـا الانسان في جرائم القتل ! كنت أظن أنكم ستسارعون إلى معونتي حالما أطلب اليكم ذلك وينتهي كل شيء

ثم وضعت على شفتيها أعذب ابتسامة ، وقالت وهي تتخلل بأصابعها شعر هوغو :

– هلم يا هوغو ، هلم أيها العزيز .

فأجاب الشيخ :

– اصغي الي يا عزيزتي ، لو كانت هذه مسرحية وكنا على خشبة على المسرح لهان الأمر .. ولكننا أمام جريمة خطيرة ، وليس من السهل نقل جثث القتلى السيارات والقاؤها في الغابات هكذا بكل بساطة ، إن تفكيرك السقيم سيزج بك في النهاية في مركز دقيق للغاية .

فتحولت كلاريسا الى جيريمي ..

وقالت متوسلة :

-- وأنت يا جيريمي ؟

فقال الشاب ضاحكاً :

-- انا رهن إشارتك ، ماذا تهم جثة او جثتان .

فقال رولاند بلهجة جدية :

– مهلا يا فتى ، مهلا .. انني لن اسمح بذلك ، وأنت يا كلاريسا ، يجب أن تدعي الأمر لي .. إذ لا ينبغي ان نسقط من حسابنا هنري ومركزه ، وتأثير مثل هذا التصرف من مستقبله في السلك الدبلوماسي .

فصاحت وهي تتهاوى في أحد المقاعد :

– اني ما وضعت هذه الخطة إلا من أجل هنري ومركزه ومستقبله ، ان هناك حدثاً خطيراً سيقع الليلة ، فقد ذهب هنري لاستقبال شخصية هامة ، وسيحضر هذه الشخصية إلى هنا ، ذلك سر من أسرار الدولة لم يعلن بعد ، ولا يجب أن يعلم به أحد .

فقال رولاند ساخراً :

– ومن تكون تلك الشخصية الهامة ؟ مستر جونز ؟

اوافقك على انه اسم سخيف ، ولكنهم أطلقوه على تلك الشخصية التي لا أستطيع أن أبوح لك بحقيقتها ، فقد اقسمت على الكتمان ولكني اضطررت إلى مصارحتكم لأبرر موقفي الذي يراه هوغو سخيفاً ، منافياً للحكمة والصواب !

ماذا سيكون موقف هنري إذا جاء مع ضيفه الكبير ووجد البيت يعج برجال البوليس ، وفي ركن من قاعة الاستقبال جثة الرجل الذي اقترن بزوجته الأولى ؟ مـاذا سيكون تأثير ذلك على مركزه ومستقبله ؟

فقال سير رولاند وهو ينظر اليها بارتياب

– لا شك انك لم تخترعي هذه القصة .. عن تلك الشخصية الهامة يا كلاريسا ؟

فأجابته

– يا إلهي ، اني لا أجد من يصدقني حين اقول الحقيقة .

فقال رولاند

– أنا آسف يا عزيزتي ، الواقع ان المشكلة أعقد مما ظننت .

فقالت

– ارأيت ؟ اذن يجب أن نعجل بنقل الجثة من هنا .

فسألها جيريمي

– ماذا قلت عن سيارته ؟

اجابت

– قلت انه تركها بالقرب من حظيرة سيارات هذا البيت .

– وهل انصرف الخدم جميعاً ؟

– نعم .

فقال جيريمي

ـ حسناً ، اتفقنا هل انقل الجثة إلى السيارة ، ام احضر السيارة الى هنا ؟

فقال رولاند

ـ صبراً لحظة .. يجب ان نفكر في الأمر ملياً ، ولا نتصرف برعونة !

فصاحت

ـ ولكن يجب أن نسرع

ـ انا لست على يقين من ان خطتك هى افضل ما يمكن عمله يا عزيزتي ، ماذا يحدث إذا ارجأنا الأمر إلى صباح الغد ؟ ذلك يتيح لنا فرصة للتفكير والتدبير ، وهو في ذات الوقت انسب الحلول وأبسطها . بحسبنا أن ننقل الجثة الى غرفة أخرى ، وسوف لا يتعذر علينا تبرير هـذا الاجراء إذا ما سئلنا .

فقالت وهي تدنو منه

ـ اليس عجيباً ان تكون أنت الشخص الوحيد الذي يتمين عـلي اقناعه ؟ ان جيريمي على استعداد للعمل ، وهوجو سيهز رأسه ويزمجر ، وربما يضرب الأرض بقدميه ، ولكنه سيوافق في النهاية ويقدم على العمل ، أما أنت ..

وصمتت ، ثم تحولت الى جيريمي وهوغو وقالت

ـ هلا تفضلتما بالانتقال إلى قاعة المكتبة لفترة قصيرة ؟ اريد ان اتحدث إلى رولاند على انفراد .

فجلس رولاند على مقعد أمام طاولة البريدج .

وقال هوغو وهو يتحرك نحو قاعة المكتبة

ـ حذار أن تغرر بك يا رولاند .. وتحملك على الاقدام على حماقة

وقال جيريمي وهو ينظر الى كلاريسا

ـ اتمنى لك التوفيق .

وانتظرت كلاريسا حتى خرج الرجلان ، ثم أغلقت الباب وقالت وهي تجلس امام رولاند .

ـ الآن لنتحدث في هدوء.

فقال رولاند

ـ اني أحبك أيتها العزيزة ، وسأحبك دائماً .. ولكن جوابي في هذه القضية هو (لا) .

ـ ان جثة هذا الرجل لا يجب ان توجد هنا ، واذا وجـــدت في غابة (مارسدن) فسأقول انه زارنا اليوم لفترة قصيرة ثم انصرف ، بـــل في استطاعتي ان احدد لرجال البوليس بالضبط لحظة انصرافه ، ومن حسن الحظ ان مسز بيك قابلته هنا ، ورافقته عندما انصرف ، ولن يخطر ببال انسان في هذه الحالة انه عاد ادراجه .

اما إذا وجدت الجثة هنا ، فنحن جميعاً سنتعرض للاستجواب ، ولن تقوى ببا على الصمود امام المحققين .

فقال رولاند في دهشة :

ـ ببـــا ؟

فقالت كلاريسا

ـ انها لن تلبث ان تنهار وتعترف .

وفهم سير رولاند وهتف

ـ ببا ؟ يا إلهي !

ـ انها ذعرت حين رأته هنا .. قلت لها اني لن ادعه يأخذها .. ولكن يبدو انها لم تصدقني ..

أنت تعرف كم قاست هذه المسكينة ، وتعرف خطورة الانهيار العصبي الذي اصابها وكاد يودي بعقلها

قد أكدت لي انها لم تكن تريد قتله . وهذا صحيح . وأكبر الظن أنها كانت في حالة ذعر وهلع . فأمسكت بالعصى وضربته ، دون أن تعي .

– أية عصا؟

– توجد مجموعة عصي في الفجوة خلف رفوف الكتب .

فقال رولاند بحدة :

– وأين هي الآن ؟

– في فراشها .. أعطيتها قرصاً منوماً ، ولن تستيقظ قبل الصباح. وغداً سأبعث بها إلى لندن فتقيم مع والدتي

فنهض سير رولاند واقفاً ، واجتاز الغرفـــة ونظر الى الجثة ثم عاد إلى كلاريسا فقبلها وقال :

– إنك انتصرت يا عزيزتي ، وأنا أعتذر لك . هذه الفتاة لا يجب أن تقف أمام المحقق ، إستدعي الآخرين .

قال ذلك ومشى إلى الباب المؤدي إلى الحديقة وأطل منه ، ثم أسدل ستائره .

بينما فتحت كلاريسا باب المكتب ونادت

– هوجو .. جيريمي .. تعاليا !.

ودخل هوجو وهو يقول :

– إن خادمك لا يحكم غلق النوافذ يا كلاريسا ، فقد وجدت نافذة قاعة المكتبة مفتوحة فأغلقتها .

ثم نظر إلى رولاند وسأل :

– ماذا جرى ؟

فأجاب رولاند بايجاز :

– إنني عدلت عن موقفي .

فالتفت جيريمي إلى كلاريسا وهتف :
– برافو .
فقال رولاند :
– الوقت ضيق ، ويجب ان نشرع في العمل .. أين القفازات ؟
ومد يده وتناول قفازاً وحذا هوجو حذوه .

واقترب سير رولاند من رفوف الكتب وقال :
– كيف يفتح هذا المكان ؟
فقال جيريمي :
– هكذا يا سيدي .. فقد أرشدتني بيا إلى طريقة فتحه .

* * *

وتحركت الرفوف ، وكشفت عن الفجوة التي خلفها .. والتي تنتهي بباب يؤدي إلى المكتبة .

ودخل سير رولاند في الفجوة ، ووجـــد بها عصا ذات مقبض ضخم ، فأخذ يفحصها باهتمام .
فقال جيريمي ضاحكاً :
– هذه العصا تصلح أداة لارتكاب جريمة قتل ، إن ضربة قوية بمقبضها تكفي لتهشيم رأس إنسان .

فرد رولاند :
– يخيل إلي ذلك .. خذ هذه العصا يا هوجو والق بها في فرن المطبخ . أما أنت يا جيريمي فعليك ان تتعاون معي في نقل الجثة إلى السيارة .
قال هذا وانحنى فوق الجثة .. وحذا جيريمي حذوه ..

وفي هذه اللحظة دق جرس الباب الخارجي ، فاعتدل الرجلان ، وهتف سير رولاند ·

-- ما هذا ؟

فردت كلاريسا بمزيج من الدهشة والحيرة :

- إنه جرس الباب الخارجي . ترى من القادم ؟ لم يحن بعد موعد عودة هنري ومستر جونز . فلا بد ان يكون القادم ، هو السير جون .

فصاح رولاند

- السير جون ؟ وزير الخارجية ؟

نعم .

- آه .. يجب ان نتصرف بسرعة

ودق الجرس مرة أخرى فقال رولاند :

- إفتحي الباب يا كلاريسا .. وابذلي قصارى جهدك لحجزه في البهو أطول وقت ممكن ريثما نخلي هذه الغرفة .

فخرجت كلاريسا مسرعة . واستطرد السير رولاند ، قائلا لزميليه :

- هلما بنا نضع الجثة في الفجوة .. على ان ننقلها فيما بعد الى قاعة المكتبة .

فقال جيريمي ·

-- فكرة صائبة .

وتعاون رولاند وجيريمي على نقل الجثة فأمسك أحدهما بذراعيها والآخر بقدميها ، وحملاها الى الفجوة ، ولحق بهما هوجو ، فوضع العصا والمصباح الكهربي فوق الجثة وخرج ثلاثتهم من الفجوة ، وضغط جيريمي زراً في الجدار فعادت رفوف الكتب الى مكانها .

وتنهد سير رولاند ونظر الى ثيابه خوفاً من ان تكون قد تلوثت بالدم ، ثم أدار الطرف بجوانب الغرفة وقال :

– القفازات .

وخلع قفازه ووضعه تحت الوسادة في الجانب الأيسر من الأريكة وحذا جيرمي وهوجو حذوه .

قال رولاند :

– البريدج

وأسرع الى المقعد الخاص به أمام طاولة البريدج ، وتناول كل منهم أوراق اللعب التي كانت كلاريسا قد وضعتها أمامه .

* * *

وما هي الا برهة حتى دخلت كلاريسا وفي أثرها رجلان يرتدي أحدهما ثياب الشرطة برتبة رقيب

قالت بصوت ينم عن دهشتها البالغة :

– الشرطة أيها العم رولاند .. المفتش لورد ، والرقيب جونز .

ووقفت خلف مقعد السير رولاند بينما اتخذ رقيب الشرطة مكانه بباب الغرفة .

قال المفتش :

– يؤسفني أن أزعجكم أيها السادة ، ولكننا تلقينا نبأ بأن جريمة قتل قد ارتكبت هنا .

فصاح الجميع بصوت واحد :

– ماذا ؟ جريمة قتل ؟

فقال المفتش :

ـ اننا تلقينا مكالمة تليفونية بهذا المعنى .

ثم التفت الى هوجو وقال :

ثم التفت الى هوجو وقال

ـ طاب مساؤك يا مستر بيرش .

فتمتم هوجو قائلا

ـ آه ، طاب مساؤك أيها المفتش .

وقال سير رولاند

ـ هذه مزحة بغير شك ، يا سيدي المفتش .. لا بد ان أحدهم أراد مداعبتكم .

وقالت كلاريسا

ـ اننا كنا نلعب البريدج طوال المساء .

وأومأ الآخرون برؤوسهم توكيداً لذلك .

واستطردت كلاريسا قائلة

ـ وماذا قيل لكم عن شخصية القتيل ؟

فأجاب المفتش

ـ لم يذكر المتحدث أسماء .. قال فقط ان رجـــلا قتل في قصر (كوبلستون) ، وطلب الينا ان نحضر بسرعة .. ثم وضع السماعة قبل ان نسأله مزيداً من المعلومات .

فقالت كلاريسا

ـ انها مزحة .. ما في ذلك شك ، ومزحة أثيمة أيضاً .

فقال المفتش

ـ لو عرفت مضمون البلاغات التي تصلنـــا من بعض الناس يا سيدتي لتملكتك الدهشة .

فسعل هوجو ونهض من مقعده وجلس على الأريكة .
ومضى المفتش في حديثه قال

ـ اذن أنتم تؤكدون انه لم يحدث هنا شيء غير عادي هذا المساء ؟ يجدر بي مع ذلك ان أقابل مستر هيليشام براون .

فردت كلاريسا

ـ انه ليس موجوداً ، ولا أتوقع عودته قبل منتصف الليل .

ـ هل يوجد في البيت أناس آخرون ؟

ـ دعني أقدم لك ضيوفنا ؛ سير رولاند ديلاهاي مستر جريمي واوندر ، مستر هوجو بيرش الذي أعتقد انك تعرفه . وتوجد بالبيت أيضاً ابنة زوجي وهي الان في فراشها .

ـ والخدم ؟

ـ يقوم على خدمتنا خادم وامرأته .. مستر ومسز ايلجن ، واليوم اجازتهما الأسبوعية .. وأعتقد أنهما ذهبا الى السينما في (ميدستون) .

لكنها ما كادت تفرغ من عبارتها حتى دخل ايلجن قادماً من البهو وقال يكلم كلاريسا وعيناه لا تتحولان عن المفتش .

ـ هل انت بحاجة الى شيء يا سيدتي ؟

فبهتت كلاريسا وردت

ـ كيف ذلك ؟ كنت أظنك في السينما يا ايلجن .

وهنا نظر المفتش الى كلاريسا بارتياب .

فقال ايلجن

ـ اننا لم نمكث طويلاً يا سيدتي .. فقد شعرت امرأتي ببعض الأضطرابات المعوية ..

ونظر الى المفتش ثم الى الرقيب وقال

ـ هل حدث شيء يا سيدتي ؟

فسأله المفتش :

- ما اسمك ؟

- ايلجن . أتمنى الا يكون قد حدث شيء !

فقال المفتش :

- قد اتصل بنا أحد الناس وقال ان جريمة ارتكبت هنا .

- جريمة قتل ؟

- ما تعرف عن هذه الجريمة ؟

- لا شيء . لا شيء على الإطلاق . .

فقال المفتش وهو يمعن النظر في محياه :

- ألست انت الذي اتصلت بنا تليفونيا ؟

- كلا يا سيدي .

فأطرق المفتش برأسه مفكراً لحظة ثم قال :

- أعتقد انك دخلت من الباب الخلفي .

- نعم يا سيدي .

- ألم تلاحظ شيئاً غير عادي ؟

فحك ايلجن رأسه وفكر قليلا ثم رد .

- آه . . تذكرت الان . إنني لاحظت وجود سيارة غريبة على مقربة من الحظيرة .

- سيارة غريبة ؟

- نعم ، وقد تساءلت ترى من يكون صاحبها الذي تركها في ذاك المكان غير المألوف أمام باب الحظيرة مباشرة

- هل كان بها أحد ؟

- كلا يا سيدي . . لم يكن بها أحد .

فالتفت المفتش إلى رقيب الشرطة وقال :

الق نظرة على هذه السيارة يا جونز .

ثم أشار إلى ايلجن بأن ينصرف .

ونهض جيريمي من مكانه فجلس على الأريكة وتناول إحدى الشطائر التي أعدتها كلاريسا لزوجها وضيفيه وراح يلتهمها

أما المفتش فإنه وضع قبعته على أحد المقاعد ، ونظر إلى مائـــدة البريدج وقال :

- يبدو أنكم كنتم تنتظرون شخصاً ما .

فردت كلاريسا :

- كلا .. لم نكن ننتظر أحداً .. ولم نكن بحاجة إلى أحد .. كنا نلعب البريدج نحن الأربعة .

- أنا أيضاً مولع بالبريدج .. هل تقيمين هنا منذ وقت طويل ، يا مسز هيليشام براون ؟

- كلا .. منذ ستة أسابيع فقط .

ألم تقع اية أحداث مريبة منذ أقمت في هذا البيت ؟

- ماذا تعني بالأحداث المريبة أيها المفتش ؟

- إن لذلك قصة عجيبة ، فقد كان هذا البيت ملكاً لتاجر تحف يدعى سيلون ، توفي منذ ستة شهور .

- قيل انه ذهب ضحية حادث فهل هذا صحيح ؟

- نعم ، انه سقط من فوق السلم وتهشم رأسه فقيل ان الحادث حصل قضاء وقدراً وقد يكون ذاك صحيحاً وقد لا يكون .

- هل تعني ان بعضهم ، ربما ، قد قـذف به ، من فوق حاجز السـلم .

- ذاك ممكن .. وممكن كذلك ان يكون بعضهم قد هشم رأسه بعصا ، ثم دبر الأمر بحيث يبدو كأن الرجل سقط أسفل السلم .

– سلم هذا البيت ؟

– كلا ، سلم الحانوت .. على انه لم يقم دليل على ذلك ، لكن المفهوم ان سلوك مستر سيلون لم يكن فوق الشبهات .

فقال سير رولاند :

– كيف ؟

– لقد استجوبه رجال مكافحة المخدرات مرة او مرتين ، ولكن الأمر كان مجرد اشتباه .

– تعني ان تلك كانت وجهة النظر الرسمية .

– نعم ، تلك كانت وجهة النظر الرسمية .

– ووجهة النظر غير الرسمية ؟

– ذاك ما لا أستطيع مصارحتك به يا سيدي .. ولكن الظاهرة العجيبة التي اقترنت بوفاة مستر سيلون ، هي وجود رسالة على مكتبه لم يكن قد أتمها . وفيها يقول انه عثر على شيء نادر جداً .. يستطيع أن يؤكد انه ليس مزوراً .. وانه يطلب ، أربعة عشر الفاً من الجنيهات ، ثمناً له .

فهتف سير رولاند :

- أربعة عشر الفاً من الجنيهات !! . هذا مبلغ ضخم ، ترى ماذا يكون ذلك الشيء ؟ جوهرة ؟. ولكن كلمة (مزور) لا تقال عن الجوهرات ، إذن لعله لوحة فنية ! .

- ربما، لكن ثبت من كشوف الجرد التي وضعتها شركة التأمين انه لم يكن بالحانوت شيء يساوي هذا المبلغ

وكان لمستر سيلون شريكة تملك متجراً خاصاً بها في لندن . وقد كتبت الينا هذه السيدة تقول انها لا تستطيع مساعدتنا في إماطة اللثام عن سر مصرع شريكها .

فقال سير رولاند

– إذن يحتمل ان يكون مستر سيلون قد قتل ، وان يكون ذاك الشيء الثمين الذي تحدث عنه قد سرق .

– ذاك محتمل .. ولكن أكبر الظن ان القاتل لم يستطع العثور على ذلك الشيء .

– لماذا ؟

– لأن بعضهم تسلل إلى الحانوت مرتين بعد وفاة صاحبه وقلب كل ما فيه رأساً على عقب .

فقالت كلاريسا :

– ولكن لماذا تقول لنا كل ذلك أيها المفتش ؟

– لأني فكرت يا مسز هيليشام براون في ان سيلون ربما قد أخفى ذاك الشيء الثمين في هذا البيت لا في الحانوت .. ولذلك سألتك عما إذا كانت قد حصلت هنا أحداث مريبة

فردت كلاريسا :

– كل ما حصل ان شخصاً اتصل تليفونياً اليوم وقال انه يريد التحدث إلي وحين تناولت السماعة ، قطع الاتصال .

كان تصرفاً غريباً ، أثار دهشتي وأقلقني . آه .. هناك شيء آخر .. منذ بضعة أيام ، أتى شخص وقال انه يريد شراء هذا المكتب .

فاقترب المفتش من المكتب وسأل :

– هذا المكتب ؟

– نعم .. وقد قلت له انه ليس مكتبنا ، ولا نستطيع بيعه ، ويبدو انه لم يصدقني ، لأنه راح يرفع الثمن حتى أوصله إلى مبلغ خيالي يربي كثيراً على قيمة المكتب .

فقال المفتش وهو يفحص المكتب :
ـ هذه المكاتب كثيراً ما تكون بها أدراج سرية .
فقالت كلاريسا :
ـ هذا المكتب به درج سري ، ولكننا لم نجد به شيئـــاً ذا قيمـة .
وفي هذه اللحظة ، دخـــل الرقيب جونز ، وبيده رخصة سيارة وقفـاز .
فقال يحدث المفتش :
ـ إني فتشت السيارة يا سيدي .. ووجدت بها هذه الرخصة ، وهذا القفـاز .

فتناول المفتش الرخصة وقرأ فيها :
« أوليفر كوستيلو ، ٢٧ سنة ، العنوان : شارع مورغان رقم ٣ » .
ثم رفع رأسه وقال بجدة :
ـ هل أتى الى هنا اليوم شخص يدعى أوليفر كوستيلو ؟
فتبادلت كلاريسا ورولاند نظرة سريعة ، وقالت الأولى :
ـ نعم ، انه أتى حوالى الساعة .. دعني أتذكر .. آه .. حوالى الساعة السادسة والنصف .
ـ هل هو أحد أصدقائك ؟
ـ كلا ، لا استطيع ان اصفه بأنه صديق .. اني قابلته مرة او مرتين ، والواقع ..
وتظاهرت بالارتباك ، ونظرت إلى رولاند فقال هذا :
ـ دعني أوضح لك الموقف ايها المفتش .. إن الأمر خاص بزوجة مستر هيليشام براون الأولى .. فقد تم الطلاق بينهما منـــذ عام ، فاقترنت بمستر أوليفر كوستيلو منذ بضعة أسابيع .

- اذن فقد جاء مستر كوستيللو إلى هنا اليوم . لماذا ؟ هل كان هناك موعد ؟

فقالت ببساطة :

- كلا .. والواقع ، ان ميراندا عندما رحلت ، أخذت معها اشياء لا تخصها . وتصادف أن جاء أوليفر إلى هذه المنطقـــة لأمر يخصه .. فأحضر معه تلك الأشياء .

- ما نوع هذه الأشياء ؟

فأجابت وهي تبتسم

- أشياء لا أهمية لها ..

وأشارت إلى صندوق فضي للسجائر كان على المكتب .

ثم قالت :

- هذا الصندوق إحداها

وتناولت الصندوق وقدمته للمفتش .

واستطردت قائلة :

- إن زوجي يحرص عليه لأسباب عاطفية .. لأنه أول هدية تلقاهـا من أمه .

فسألها المفتش :

- هل مكث مستر كوستيللو هنا طويلاً ؟

فأجابت وهي تعيد الصندوق إلى مكانه :

- لا ، لم يمكث اكثر من عشر دقائق ، قال ان لديه أعمالاً هامة ويجب أن ينصرف على عجل .

فسأل المفتش :

- وهل كان لقاؤكما ودياً ؟

- طبعاً . طبعاً .. فقد كان كرماً منه ان يكلف نفسه مؤونة

إحضار هذه الأشياء .

سأل المفتش :

- هل قال لك اين سيذهب ؟

- كلا .. انه خرج من هذا الباب المؤدي إلى الحديقة . وتصادف ان كانت مسز بيلك البستانية هنا .. فخرجت معه لترشده إلى الطريق ..

- وهذه البستانية .. هل تقيم هنا ؟

- إنها تقيم في كوخها الخاص في ركن الحديقة .

فنظر المفتش إلى الرقيب وقال :

- اريد التحدث الى هذه السيدة يا جونز .

فقالت كلاريسا :

- توجد وصلة تليفونية في الكوخ ، هل تريد أن أدعوها ؟

- نعم ، إذا تفضلت .

فقالت كلاريسا وهي تضغط زراً في جهاز التليفون .

ثم تتناول السماعة :

ثم هتفت :

- آلو .. مسز بيلك ! انا مسز هيلشام براون ، هل يمكنك الحضور الآن لأمر هام ؟ نعم . لا بأس ، شكراً لك

ووضعت السماعة .

واستدارت لتقول للمفتش :

- إنها تصفف شعرها وسترتدي ثيابها وتحضر فوراً .

- شكراً لك ، عسى أن يكون قد قال لها إلى أين ذهب .

فردت مسز براون :

- أرجو ذلك !

المسألة الآن .. هي لماذا ظلت السيارة هنـــا .. وأين مستر كونتيللو ؟

فنظرت كلاريسا من ركن عينها إلى رفوف المكتب .

ثم سارت نحو باب الحديقة .

واستطرد المفتش قائلاً :

من الواضح أن مسز بيك كانت آخر من رآه .. قلت انه انصرف من هذا الباب المؤدي إلى الحديقة .. فهل أغلقت البـــاب بعد انصرافه ؟

– كلا .. لا أظن اني أغلقته .

– إذن يحتمل أن يكون قد عاد ، هل تسمحين لي بتفتيش المنزل يا مسز هيلشام براون ؟

فأجابت كلاريسا وهي تبتسم :

– طبعاً .. طبعاً ! أنت رأيت هذه الغرفة ، وليس بهـا مكان يختبىء فيه انسان كما ترى .

ثم قالت وهي تفتح الباب المؤدي إلى المكتبة :

– وهنا غرفة المكتبة ، هل تريد أن تلقي نظرة عليها ؟

– شكراً لك ، تعال يا جونز .

وانتقل المفتش والرقيب إلى غرفة المكتبة ، وحينئذ وثب سير رولاند من مقعده !

وقال يحدث كلاريسا :

– ماذا في الناحية الأخرى وراء رفوف المكتب ؟

– رفوف كتب أيضاً

وعاد المفتش والرقيب بعد قليل .

وقال الأول

- حسناً ، سنقوم الآن بتفتيش باقي غرف المنزل .

فأجابت كلاريسا :

- سأرافقكما إذا لم يكن هناك مانع .. فإنني أخشى أن تستيقظ ابنة زوجي فيستولي عليها الذعر .. إن الصغار يستغرقون عادة في نوم عميق لا توقظهم منه الزلازل ، ولكن يحدث أحياناً ان ينهضوا فجأة من أبسط حركة ، هل لديك اولاد ايها المفتش ؟

ولد وبنت .

- ما اجمل ذلك ؟

وخرج المفتش والرقيب الى البهو .

ثم تبعتهما كلاريسا .

* * *

وهنا تنهد هوغو ..

وجفف جيريمي العرق المتصبب على جبينه ، وقال وهو يتناول شطيرة أخرى :

- رباه ! ماذا سيحدث الآن .

فقال رولاند :

- أرى اننا في ورطة تزداد شدة لحظة بعد أخرى .

فقال هوجو وهو ينهض عن مقعده :

- الرأي عندي ان نصارح المفتش بالحقيقة كلها قبل فوات الأوان

فهتف جيريمي :

- ليس بوسعنـــا ان نفعل ذلك الآن وإلا أحرجت كلاريسا وزجت

نفسها في موقف لا تحسد عليه

فقال هوغو

— سيكون موقفها ادق واخطر إذا أصررنا على الاستمرار في هـذه المهزلة ، وإلا فحدثني كيف نستطيع نقل الجثة من هنا ؟ لا شك أن البوليس سيستولي على سيارة كوستيللو إلى ان يظهر صاحبها .

فقال جيرمي :

— نستطيع استخدام سيارتي .

انا لا اشعر بالارتياح ولست راضياً عن كل هذا .. مـا رأيك يا رولاند ؟ انك اثبتنا جناناً وأوسعنا حيلة .

فأجاب رولاند :

انا شخصياً ملتزم بخطة كلاريسا .

— الحق اني لا افهمك .

— اصغ الي يا هوغو .. إننا جميعاً في ورطة سيئة للغاية .

ولكن إذا اتحدنا ، وحالفنا بعض الحظ ، فإننا قد ننجح في الخروج من ورطتنا بسلام

لأن رجال البوليس متى اقتنعوا بأن كوستيللو ليس هنـا فإنهم سيغادرون البيت وسيبحثون عنه في مكان آخر .

أما عن سيارته ووجودها هنا فذلك يمكن تبريره بعديد من الأسباب.

والواقع ، اني لا أرى ما يدعو البوليس إلى الاشتباه في احدنا ، فنحن قوم محترمون ، وهوغو عضو في مجلس النواب ، وهنري من كبـار موظفي وزارة الخارجية

فقال هوغو :

وأنت أيضاً كنت موظفاً كبيراً ، ولك ماض مجيد .. فلنتشجع إذن ولنمض في طريقنا

فقال جيريمي وهو يومىء نحو رفوف الكتب :
- الا نستطيع نقل الجثة إلى مكان آخر ؟
فقال رولاند :
- ليس الآن ، انهم قد يعودون في اية لحظة .
- الواقع اني معجب بشجاعة كلاريسا وثباتها .. انها وضعت المفتش في جيبها .
وهنا دق جرس الباب الخارجي
فقال سير رولاند .
- هذه مسز بيك ، افتح الباب ودعها تدخل يا جيريمي .
فخرج جيريمي ، بينما اقترب هوغو من السير رولانـد وسأله في صوت خافت :
- ماذا وراء كل هذا يا رولاند .. ماذا قالت لك كلاريسا عندمـــا انفردت بك ؟
فهم رولاند بالكلام .
ولكنه ما كاد يسمع صوت مسز بيك وهي تحيي جيريمي في البهو حتى رفع اصبعه إلى شفتيه وهمس قائلاً :
- فيما بعد ، فيما بعد
ودخلت مسز بيك .
كانت تعصب رأسها بشملة ، وكان واضحاً انها ارتدت ثيابهـــا على عجل .
قالت :
- كان حديث مسز كلاريسا معي غامضاً ، فهل حدث شيء ؟
فقال رولاند في ادب :
- يؤسفني ان تكون كلاريسا قـــد ازعجتك ، تفضلي بالجلوس يا

مسز بيك .

وأشار إلى مقعد امام مائدة البريدج ، واستطرد :

– الواقع ان رجال البوليس هنا !

– رجال البوليس ؟ لماذا ؟ هل حدثت سرقة ؟

– كلا ، ولكن !

وقبل ان يتم عبارته ، دخلت كلاريسا يتبعها المفتش والرقيب ، فتراجع رولاند خطوة.

وعاد هوغو الى مكانه على الأريكة .

قالت كلاريسا :

– هذه هي مسز بيك أيها المفتش .

فقال المفتش وهو يصعد المرأة بعينيه :

– طاب مساؤك يا مسز بيك .

– طاب مساؤك يا سيدي المفتش ، كنت أسأل السير رولاند منذ لحظة عما حدث ، اهي سرقة ام ماذا ؟

فقال المفتش

– إننا تلقينا مكالمة تلفونية غريبة جئت على اثرها إلى هنا ، وقد خطر لي انه ربما كان في استطاعتك أن تلقي ضوءاً على الموضوع .

فضحكت مسز بيك في مرح وقالت :

– يا إلهي ! ما كل هذه الأسرار !

فقال المفتش

– ان الأمر خاص بمستر كوستيللو .. اوليفر كوستيللو الذي يقيم بشارع مورجان

– لم اسمع عنه قط .

– انه جاء هذا المساء لزيارة مسز هيلشام براون ، واعتقد انك رافقته

رافقته في الحديقة عندما انصرف .

ـ آه . . نعم ؟ لقد ذكرت مسز هيلشام اسمه . وماذا تريد ان تعرف عنه ؟

ـ أريد ان اعرف بالضبط ماذا حدث ومتى رأيته لآخر مرة .

ـ دعني اتذكر ، نعم ، اننا خرجنا من هذا الباب وقلت له ان هناك طريقاً مختصراً اذا كان يريد ركوب الأوتوبيس ، ولكنه اجاب بأنه اقبل بسيارته ، وانه ترك السيارة امام الحظيرة ؟

ـ من العجيب حقاً انه ترك السيارة في ذلك المكان بدلاً من أن يتركها أمام باب البيت .

ـ ذلك ما خطر لي ايضاً .

ـ وماذا حدث بعد ذلك ؟

ـ انه ذهب الى سيارته ، واعتقد انه ركبها وانطلق بها .

ـ هل رأيته يفعل ذلك ؟

ـ كلا . . كنت في شغل بجمع الأدوات التي استخدمها في عملي بالحديقة .

ـ وكانت تلك آخر مرة رأيته فيها ؟

ـ نعم ، لماذا ؟

ـ ان سيارته لا تزال في مكانها ، وقد اتصل بعضهم بمقر الشرطة في الساعة السابعة والدقيقة ٤٩ وقال ان رجلا قتل في قصر كوبلستون .

فقالت مسز بيك :

ـ قتل ؟ هنا ، هذا امر مضحك .

فرد المفتش :

ـ ذلك ما يعتقده الجميع هنا .

ـ انا قرأت طبعاً عن اولئك المجانين الذين يتسللون تحت جنح الظلام ،

ويهاجمون النساء ، ولكنك تقول ان شخصاً قتل !

ألم يصل إلى سمعك ، صوت سيارة تقف بالباب ، هـــذا المساء ؟.

ـ لم أسمع سوى صوت سيارة مستر هيلشام براون .

ـ مستر هيلشام براون ؟. كنت أعتقد انه لن يعود إلا في ساعة متأخرة من الليل .

ونظر اليها من ركن عينيه .

فردت كلاريسا .

ـ لقد أتى زوجي فعلا ، ولكنه انصرف حالاً تقريباً .

ـ أحقاً ؟. ومتى أتى ؟. أريد الوقت بالتحديد .

ـ دعني أتذكر .. أتى حوالى ..

فقاطعتها مسز بيك قائلة :

ـ إنه أتى قبل نحو ربع ساعة من موعد انتهاء عملي ، أي حوالى الساعة السابعة إلا الربع

فقال المفتش :

أي بعد قليل من انصراف مستر كوستيللو . ومن المحتمل ان يكونا قد تقابلا في الطريق .

فقالت مسز بيك

ـ هل تعني انه ربما عاد لمقابلة مستر هيلشام براون ؟

فصاحت كلاريسا :

ـ من المحقق ان مستر كوستيللو لم يعد إلى هنا مرة أخرى .

فقالت مسز بيك :

كيف يمكنك التأكد من ذلك يا مسز هيلشام براون ؟ من المحتمل أن يكون قد دخل من هذا الباب دون أن تشعري ! يا إلهي !. هل يمكن أن

يكون قد قتل مستر هيلشام براون ؟

-- كلا . . إنه لم يقتل هنري

فسألها المفتش :

- إلى أين ذهب زوجك بعد انصرافه من هنا ؟

-- لا أعلم .

- ألا يقول عادة إلى أين سيذهب ؟

-- لم أتعود ان أسأله . إن الزوج يضيق بالزوجــة ، التي تلح عليه بالأسئلة .

وفجأة صاحت مسز بيك بصوت ثاقب

- يا إلهي ! . ما أشد غبائي ! . إذا كانت سيارة مستر كوستيللو لا تزال هنا فلا بد ان يكون هو الذي قتل .

وانفجرت ضاحكة .

فنهض سير رولاند من مقعده وقال بلهجة جدية :

- ليس هناك ما يحملنا على الظن بأن أحـداً قد قتل يا مسز بيك . . والواقع ان المفتش يميل إلى الاعتقاد بأن المكالمة التليفونيـة كانت مجرد مزحة سخيفة .

فقالت مسز بيك :

-- والسيارة ؟ . أظن ان وجودها يثير الريبة .

ثم نهضت واقتربت من المفتش واستطردت قائلة :

- هل بحثت عن الجثة أيها المفتش ؟

فقال سير رولاند :

-- إنه فتش البيت كله

-- أنا واثقة ان ايلجن وامرأته لهما ضلع في الجريمة . . إنهما يثيران ريبتي منذ وقت طويل . وقد رأيت نوراً منبعثاً من نافذتهما وأنا في طريقي

إلى هنا ، وذلك وحده خليق بأن يثير الريبة .. خاصة وان إجازتها الليلة ، وإنها عادة لا يعودان قبل الساعـــة الحادية عشرة .. هل فتشت غرفتها أيها المفتش ؟

ففتح المفتش فمه ليتكلم . ولكنها ربتت على كتفه ثم استطردت :

– إصغ إلي .. هب ان مستر كوستيللو رأى ايلجن ، وتذكر انـــه مجرم سابق .. وعاد أدراجه ليحذر مسز هيلشام براون ، فقابله ايلجن وفتك به ..

اليس من الطبيعي في هذه الحالة ، أن يسارع ايلجن إلى إخفاء الجثة ، حتى تتاح له فرصة للتخلص منها تحت ستار الظلام ؟ فإذا سلمنا بذلك ، فأين يمكن أن يخفيها ؟ خلف ستار ا، .

فهتفت كلاريسا

ما هذا الذي تقولينه ، يا مسز بيك !. ليس هناك جثث خلف الستائر ، وأنا واثقة من ان ايلجن لا يمكن ان يقتل أحداً .. إن آراءك تبعث على الضحك حقاً .

فقالت مسز بيك :

أنت حسنة النية جداً يا مسز هيلشام براون . وعندما تصبحين في مثل سني ، سترين ان الناس ليسوا من السذاجة والبساطة ، كما يدل مظهرهم .

وضحكت مرة أخرى وقالت تحدث المفتش :

والآن .. أين يستطيع ، شخص مثل ايلجن ، إخفاء الجثـة !. هناك تلك الفجوة او الفراغ الموجود بين رفوف الكتب وغرفة المكتبة .. هل بحثت فيها !.

فقال سير رولاند

- إن المفتش بحث في كل مكان ، يا مسز بيك .. بحث هنا . وبحث في المكتبة .

فتحول المفتش إلى مسز بيك فقال :

أين تلك الفجوة التي تتحدثين عنها يا مسز بيك !

وساد الصمت لحظة ، وحبس الجميع أنفاسهم ، وأرهفوا آذانهم ..

كان من الواضح ان كلا منهم يبذل قصارى جهده للسيطرة على شعوره بالخوف والهلع .

فقالت مسز بيك وهي تضحك :

إنها مكان مثالي لإخفاء الجثث ولن تخطر على بال أحد .. أنظر !

وأسرعت إلى رفوف الكتب . وتبعها المفتش ، بينما وثب جيريمي من مقعده كمن لدغه ثعبان .

وصاحت كلاريسا :

- كلا ، كلا !

ونظر اليها المفتش فقالت :

- لا يوجد شيء في تلك الفجوة .. فقد مررت منها إلى قاعة المكتبة منذ لحظات

فقالت مسز بيك بصوت ينم عن خيبة الأمل :

ما دام الأمر كذلك فلا ..

فقاطعها المفتش بقوله :

- لا مانع من ان أراها على كل حال .

فقالت مسز بيك وهي تقترب من رفوف الكتب :

- كان هنا في البداية باب .. يشبه مثيله في الناحية الأخرى ، ثم وضعت عليه هذه الرفوف لحجبه

وما عليك إلا ان تضغط هذا الزر لكي تتحرك هذه الرفوف ، وتتكشف عن الفراغ الذي خلفها .

أنظر !.

قالت ذلك وقرنت القول بالفعل .. وما ان تحركت الرفوف حتى برزت الجثة وسقطت بجوار المكتب .

وأطلقت مسز بيك صرخة مدوية .

ونظر المفتش إلى كلاريسا فقال في هدوء :

- إذن فقد ارتكبت هنا جريمة قتل هذا المساء !!

الفصل السابع

كانت المفاجأة أهول من أن تحتملها كلاريسا رغم قوة أعصابها ، فانهارت أمام المفتش .

وكان السير رولاند يرقبها طول الوقت فخف اليها قبل ان تسقط على الأرض وحملها بين ساعديه ومددها على الأريكة .

وعندما فتحت كلاريسا عينيها بعد قليل ، وجدت رولاند لا يزال جاثياً بجوارها ، وفي يده قدح ملىء بالبراندي ، وسمعت المفتش يتحدث في التليفون

كان يقول :

- نعم . نعم ماذا ؟ رجل صدمته سيارة ؟ أين ؟ آه .. حسناً ، ابعث بهم الينا حالما يعودون .. الطبيب الشرعي ، والمصورون ، الطاقم كله .

ووضع السماعة .

ونظر الى الرقيب وقال :

- كل الأحداث تقع دفعة واحدة ، وبالجملة مضت بضعة أسابيع لم يحدث خلالها شيء على الاطلاق ..

والآن ، قد ذهب الطبيب الشرعي لمعاينة جثة شخص صدمته سيارة في

الطريق إلى لندن .

ومعنى ذلك اننا سنضطر الى انتظاره بعض الوقت . ولكننا سنبذل قصارى جهدنا لعمل كل ما يمكن عمله إلى أن يحضر ، ومن الأفضل الا نحرك الجثة من مكانها إلى ان تلتقط صورتها ، ليس لأن وضعها الحالي سيرشدنا إلى شيء .

لأني واثق من انه لم يقتل هنا .. انه قتل في مكان آخر ونقلت جثته إلى هذا المخبأ .

قال ذلك وجثا بجوار الجثة .

وحذا الرقيب حذوه .

ونظر سير رولاند إلى كلاريسا بقلق وقال :

– بماذا تشعرين الآن ؟

فأجابت بصوت ضعيف :

– إني أحسن حالاً

وقال المفتش وهو ينهض :

– الرأي عندي ان نعيد غلق هذه الفجوة على الجثة ، فلسنا بحاجة الى مزيد من الصرخات الهستيرية .

– حسناً يا سيدتي .

وضغط الرقيب الزر .. فتحركت رفوف الكتب وحجبت الجثة

ووضع سير رولاند القدح على المائدة .

وقال يحدث المفتش :

– لقد تلقت مسز هشام براون صدمة عنيفة ، ومن الأفضل أن تذهب إلى غرفتها وتتمدد في فراشها .

فقال المفتش في ادب ولكن بحزم :

– لا بأس ، ولكني أرجو الانتظار لحظة ، فإني أريد أن القي عليها

سؤالاً او سؤالين

- إنها ليست في حالة تسمح باستجوابها

فقالت كلاريسا بصوت خافت :

- انني بخير .

فقال سير رولاند :

- انت فتاة باسلة أيتها العزيزة ، ولكني ارى من الحكمة ، ان تستريحي .

- ما اكرمك يا سير رولاند .

ثم التفتت الى المفتش وقالت :

- انه يرعاني كابنته

- لقد لاحظت ذلك

قالت .

- الق علي من الأسئلة ما شئت ايها المفتش ، رغم اني اشعر بـأني لن افيدك بشيء لأني لا اعرف شيئاً على الاطلاق .

فتنهد سير رولاند وهز رأسه وأشاح بوجهه .

فقال المفتش :

- لن أزعجك بالكثير من الأسئلة يا سيدتي

ثم سار إلى باب المكتبة وقال يحدث سير رولاند

- هلا تفضلت بالانضمام إلى الآخرين في قاعة المكتبة يا سيدي .

- اظن من الأفضل ان ابقى هنا حتى إذا .

فقاطعه المفتش قائلا بحزم :

- سأدعوك إذا قضت الضرورة يا سيدي .

وتبادل الرجلان نظرات كانت اشبه بمبارزة صامتة ، ولم يجد سير رولاند بدأ من الانسحاب ..

فدخل قاعة المكتبة على كره منه !

وأغلق المفتش الباب وأشار الى الرقيب ..

فجلس على مقعد : أمام طاولة البريدج ، وأخرج من جيبه دفتراً وقلماً

أما كلاريسا فإنها اعتدلت جالسة لتواجه المفتش

وقال هذا :

– هل انت على استعداد يا سيدتي .

وتناول صندوق السجاير الفضي ، وفتحه ، ونظر الى ما فيه لفافات .

فقطبت كلاريسا ما بين حاجبيها ، وقالت وعلى شفتيها ابتسامة :

– قرأت ان المحققين في امريكا يشعلون لفافات التبغ ويحرقون بها اجساد المتهمين ليحملوهم على الكلام ، فهل ستفعل مثلهم ؟

– ابدا يا سيدتي ، سألقي عليك بعض الأسئلة فحسب ، هل انت استعداد يا جونز ؟

– نعم يا سيدي .

فجذب المفتش مقعداً فجلس عليه في مواجهة كلاريسا .

وقال :

– والآن يا سيدي ، ألم تكن لديك أية فكرة عن وجود الجثة في ذلك المخبأ ؟

وشرع الرقيب في تسجيل الأسئلة والأجوبة .

وقالت كلاريسا وهي تحملق في وجه المفتش بعينين مذعورتين :

– كلا طبعاً ، انه لشيء مخيف !

– عندما بدأنا في تفتيش هذه الغرفة ، لماذا لم تلفتي نظرنا الى وجود هذا المخبأ ..

– الواقع ان ذلك لم يخطر لي ببال ، أولاً لأننا لا نستخدمه ، وثانياً لأني

لا أعرف كل المخابىء في هذا البيت الذي استأجرناه حديثاً .

ـ ولكنك قلت انك مررت فيه منذ لحظات ، ودخلت قاعة المكتبة عن طريقه ؟

فأجابت بسرعة :

ـ كلا .. لا بد انك اسأت فهمي .. فقد كنت أعني هذا الباب .

واشارت إلى باب المكتبة .

فهز المفتش رأسه ببطء وقال :

ـ لا شك انني اسأت فهمك ، والآن . هل لديك فكرة عن متى عاد مستر كوستيللو الى هنا او لماذا عاد ؟

فردت :

ـ كلا ، اطلاقاً ، انا لا استطيع ان اتصور انه عاد .

ـ ولكن الواقع انه عاد .

ـ هذا امر واضح .

ـ لا بد انه عاد لسبب ما

ـ اعتقد ذلك .

قال المفتش :

ـ ربما اراد مقابلة زوجك .

ـ كلا ، ان كلا منهما لا يحب الآخر .

ـ هل سبق ان تشاجرا ؟

فقالت بسرعة :

ـ كلا ، لم يحدث ابداً انهما تخاصما ، ولكنك تعرف شعور الرجال عندما يتزوج احدهم مطلقة الآخر .

وابتسمت

فقال المفتش

ـ الم يعد كوستيللو يهدف لمقابلتك ؟

فقالت :

ـ مقابلتي انا ؟ لا . انا واثقة من ذلك تماماً .

ـ الا يوجد بالمنزل اي شخص آخر يحتمل ان يكون مستر كوستيللو قد اراد مقابلته ؟

فقالت بهدوء

ـ لا .. لا يوجد احد

فقال المفتش وهو ينهض واقفاً

ـ قد أتى مستر كوستيللو ، وأعاد الأشياء التي أخذتها مطلقة زوجك ثم ودعك وانصرف ، وعاد ثانية ، ربما عن طريق هذا الباب الذي يؤدي إلى الحديقة ، فقتل ووضعت الجثة في المخبأ كل ذاك حدث خلال عشرة او عشرين دقيقة ، دون ان يشعر أحد .

فردت كلاريسا

ـ أعلم ان ذلك يبدو غريباً حقاً .

فسألها المفتش

ـ هل أنت واثقة من انك لم تسمعي شيئاً !

ـ لم أسمع شيئاً على الإطلاق .

فقلب المفتش شفتيه وتمتم يقول :

ـ هذا عجيب حقاً .

ثم أردف :

ـ هذا كل ما هناك يا مسز هيلشام براون .

فنهضت كلاريسا بسرعة ، واستدارت لتدخل قاعة المكتبة ولكن المفتش وقف في طريقها وقال :

ـ لا . ليس من هنا

وفتح باب البهو فتلكأت كلاريسا وقالت :

ـ كنت أفضل اللحاق بالآخرين في قاعة المكتبة

ـ ستفعلين ذاك فيما بعد .

فخرجت كلاريسا إلى البهو وأغلق المفتش الباب خلفها .

وسأل الرقيب :

ـ أين المرأة الأخرى ، مسز بيك !

ـ إنها تسترخي على فراش في غرفة الضيوف ، فقد رافقتهـــا إلى هناك ، ومررت بوقت عصيب لأنها لم تكف عن البكاء والضحك .

ـ لا ضرر من أن تتصل بها مسز هيلشام وتتحدث اليها .. ولكن لا يجب ابداً أن تتصل بالرجال الثلاثة ..

فإنني لا أريد أن اسمع نفس القصة منهم جميعاً ، هل أغلقت الباب الموصل بين المكتبة والصالة ؟

فقال الرقيب :

ـ نعم يا سيدي ، واحتفظت بالمفتاح .

فرد المفتش :

ـ حسناً سأستجوبهم واحداً بعد الآخر ، ولكني أريد أولاً أن اتحدث مع الخادم .

ـ ايلجن ؟

ـ نعم ، دعه يحضر ، فلدي إحساس بأنه يعرف شيئاً .

ففتح الرقيب باب البهو ليدعو ايلجن . ولكنه وجده أمامه في وضع يوحي بأنه كان يسترق السمع .

واعتدل الخادم في ارتباك .

فدعاه الرقيب الدخول .

ثم أغلق الباب وعاد إلى مقعده .

وأشار المفتش إلى أحد المقاعد وقال :
اجلس يا ايلجن

فأطاع الخادم .
وقال المفتش و و يسير في الغرفة جيئة وذهاباً :
- إنك ذهبت الى السينما يا ايلجن ، ثم عدت تواً ، لماذا ؟
- قلت لك يا سيدي ان زوجتي شعرت بوعكة .
- هل أنت الذي فتحت البـــاب لمستر كوستيللو ، عندمـا جاء هذا المساء ؟

- نعم يا سيدي .
- لماذا لم تقل لنا على الفور ، ان للسيارة التي في الخارج هي سيارة كوستيللو ؟
- لم أكن أعرف ذلك يا سيدي ، لأن مستر كوستيللو لم يقف بسيارته أمام الباب ، فلم أعرف انه جاء في سيارة .
- من الغريب انه لم يقف بسيارته أمام الباب اليس كذلك ؟
- نعم يا سيدي ، ولكن لعله فعل ذلك لغرض .
فتوقف المفتش عن السير وهتف :

ماذا تعني !
- لا شيء يا سيدي ، لا شيء على الاطلاق
فقال المفتش بحدة :
- هل رأيت مستر كوستيللو من قبل ؟

- لم أره قط .
- ألم يكن مستر كوستيللو هو سبب عودتك مبكراً ، على غير العادة ؟
- قلت لك يا سيدي ان زوجتي !

ـ لا اريد ان اسمع المزيد عن زوجتك . كم قضيت في خدمـــة مسز هيلشام براون ؟

ـ ستة أسابيع .

ـ وقبل ذلك !

فقال إبلجن في قلق :

ـ كنت التمس بعض الراحة .

ـ كنت تلتمس بعض الراحة .. هل تعرف انه في مثل هذه القضايا يتعين علينا أن نفحص أوراقك وشهاداتك ونبحث عن ماضيك ..

فهم ايلجن للنهوض ، ثم جلس .

وقال بلسان متلعثم :

ـ الواقع .. الواقع يا سيدي ان شهاداتي فقـدت مني ، ولست أذكر مضمونها حرفياً ..

ـ ولذلك كتبت بنفسك شهادات أخرى ..

ـ ذلك لا يضر أحد يا سيدي .. وكان يجب أن أعمل لأعيش .

ـ شهاداتك المزورة لا تهمني في الوقت الحاضر .. ما أريد معرفته الان هو ماذا حدث الليلة ، وماذا تعرف عن مستر كوستيللو .

ـ انا لم اره قبل الليلة .

ثم نظر الى باب البهو في وجل ، واستطرد قائلاً :

ـ ولكن لدي فكرة سليمة عن سبب حضوره .

ـ ما هو السبب !

ـ الابتزاز .. ويخيل الي انه كان يعرف عنها شيئاً .

ـ عن مسز هيلشام براون ..

ـ نعم ، كنت قد جئت لأسألهـا عما إذا كانت تريد شيئاً وسمعت حديثها .

ـ ماذا سمعت بالتحديد !

ـ سمعتها تقول له « هذا ابتزاز ولن أذعن له » .

فقال المفتش في ارتياب :

ـ هل سمعت شيئاً آخر ..

فرد الخادم ايلجن :

ـ كلا .. لأنهما صمتا عندما دخلت ، وعندما خرجت ، استأنفا حديثهما بصوت خافت .

ـ حسناً ، اذهب انت الان .

ـ شكراً لك يا سيدي ..

وخرج مسرعاً .

وتمتم المفتش قائلا .

ـ ابتزاز !

فهز الرقيب رأسه وقال ·

ـ من كان يتصور أن سيدة ظريفة كمسز هيلشام براون يكون في سلوكها أو ماضيها ما يعرضها للابتزاز ؟

فقال المفتش بايجاز :

ـ والآن ، أريد مقابلة مستر هوغو بيرش

فنهض الرقيب وقصد إلى قاعة المكتب وفتح بابها .

تفضل يا مستر بيرش

فدخل هوغو وعلى وجهه دلائل العزم والتحدي .

بينما أغلق الرقيب باب المكتبة وعاد إلى مقعده .

قال المفتش وهو يشير إلى مقعد أمام طاولة البريدج :

ـ تفضل بالجلوس يا مستر بيرش .

فجلس هوغو ، وقال المفتش ·

– حادث مزعج حقاً .. ما رأيك فيه يا سيدي ؟.
فقال هوغو وهو يدق الطاولة بعلبة نظارته في تحد ·
– لا رأي لي .
– على الإطلاق ؟
– ماذا تريدني ان أقول ؟. فقد حركت المرأة الرفوف ، فظهرت الجثة خلفها ، رتقطعت أنفاسي ذعراً ، وما زلت لا أستطيع التنفس بحرية ، كلا ، لا فائدة من استجوابي لأنني لا أعرف شيئاً .
– أهذا كل ما تريد الإدلاء به ؟. انك لا تعرف شيئاً عن الموضوع ؟.
– أنا لم أقتل هذا الرجل ولم أكن أعرفه .
– لم تكن تعرفه ولكن لا بد انك سمعت عنه ؟
– نعم ، سمعت انه إنسان قذر .
– كيف ؟
– لا أعلم ، قيل انه من طراز الشباب الذين تحبهم النساء ، ويحتقرهم الرجال .
– هل لديك فكرة عن الأسباب التي دعته للعودة إلى هذا البيت للمرة الثانية هذا المساء .
– كلا .
– أتظن انه كانت له علاقة بمسز هيلشام براون .
– كلاريسا !. مستحيل . إنها شابة رصينة ، راجحة العقل ، ولا يمكن أن تنظر إلى شخص كهذا .
– ألم تكن تعلم ان الجثة في ذلك المخبأ !
– كلا طبعاً .
– شكراً لك يا سيدي .

فنهض هوغو ، وأراد ان يعود إلى قاعة المكتبة ، ولكن الرقيب وقف في طريقه فتحول إلى باب الحديقة ، فقـــال الرقيب وهو يشير إلى باب البهو :

– من هنا يا سيدي .

ورافقه إلى الباب ثم أغلقه وعاد إلى مكانه .

وفي هذه الأثناء ، كان المفتش قد تناول من أحـــد الرفوف كتاب (عظماء بريطانيا) .

ووضعه أمامه ، على مائدة البريدج ، وراح يتصفحه ، إلى أن وجد بغيته .

فقرأ بصوت مسموع :

– سير رولاند ادوارد مارك ديلاهاي ، تلقى علومه في ايتون ثم في كلية ترينيتي ، وعين ملحقاً بوزارة الخارجية ، فسكرتيراً ثانياً بمدريد ، فوزيراً مفوضاً باسطمبول .

فهتف الرقيب :

– يا إلهي !! إنه شخصية عظيمـــة .. هل تريدني ان أدعوه يا سيدي

– كلا . سأدعوه في النهاية .. أريد الآن ، مستر جيريمي وارندر .

وأقبل جيريمي ، وهو يحاول عبثاً ان يتظاهر بالهدوء ، وقلة الاكتراث .

فقال المفتش وهو يشير إلى أحد المقاعد :

– تفضل بالجلوس .

فجلس وعاد الرقيب إلى مكانه .

قال المفتش :

ـ ما اسمك !
ـ جيريمي وارندر
ـ وعنوانك
ـ ٣٤٠ شارع برود و ٣٤ ميدان جروزفنر ، وفي الريف قرية هيلسون بمقاطعة ويلتشاير .
- من ذوي الأملاك !
ـ لا ، إنني أعمل سكرتيراً خاصاً لسير لازاروس شتاين ، والعناوين التي ذكرتها هي عناوينه .
ـ هل تعمل معه منذ زمن طويل !
ـ منذ عام تقريباً .
ـ هل كنت تعرف أوليفر كوستيللو .
ـ لم أسمع عنه إلا الليلة .
ـ ألم تره حين زار البيت هذا المساء !
ـ كنت في نادي الجولف ، مع سير رولاند ومستر بيرش ، وكان خدم البيت في إجازة اليوم ، فدعانا مستر بيرش لتناول الطعام معه في النادي .
ـ وهل دعيت مسز هيلشام براون للعشاء أيضاً !
ـ لا .
فرفع المفتش حاجبيه في دهشة .. فاستطرد جيريمي على الفور قائلاً :
ـ كان بوسعها أن تأتي لو أرادت .
ـ هل معنى ذلك انها دعيت ولكنها رفضت
فقال جيريمي في ارتباك :
ـ لا ، لا ، إنما أعني ان مستر هيلشام براون يكون عادة متعباً حين

يعود إلى البيت .

وقد قالت كلاريسا ، إنها وزوجها ، سيتناولان بعض الشطائر ، هنا ..

ـ إذن ، كانت مسز هيلشام براون تتوقع ان تتنـــاول العشاء مع زوجها هنا !.

ألم تتوقع خروجه مرة أخرى بعد قدومه مباشرة .

ـ الواقع، الواقع إني لا أعلم ، والكني اعتقد انها قالت ان زوجها سيتأخر في الخارج الليلة

ـ مما يبعث على الدهشة حقاً ألا تذهب مسز هيلشام معكم إلى النادي ، وتفضل تناول العشاء وحدها هنا .

ـ لا شك انها فضلت البقاء من أجل (بيا) ، لم يكن بوسعها ان تخرج وتترك الصغيرة وحدها في البيت .

ـ أو لعلها بقيت لتستقبل زائراً أتاها خلسة .

فانبعث جيريمي واقفاً فقال بحدة :

ـ هذا كلام قذر لا ينبغي ان يقال .

ـ ومع ذلك فقد أتى اوليفر كوستيللو هنا لمقابلة شخص ما ، وكان الخدم في الخارج ، ومسز بيك في كوخها

ولا يمكن ان يكون قد أتى لزيارة أحد ، سوى مسز هيلشام براون .

ـ كل ما استطيع قوله هو (سلها هي)

ـ إني سألتها

ـ ماذا قالت

ـ نفس ما ذكرته يا مستر وارندر .

ـ إذن فإنها أخبرتك الحقيقة .

ـ حدثني يا مستر وارندر ، كيف اتفق أنكم عدتم جميعاً من النادي في وقت مبكر ؟.

هل تفاهمتم على ذلك منذ البداية ؟

ـ نعم ، أعني لا

ـ ماذا تريد ان تقول يا سيدي ؟

ـ لقد حدث الآتي .. ذهبنا جميعاً إلى النادي واتجه رولاند وهوغو الى صالة الطعام مباشرة ..

أما أنا فتخلفت عنهم قليلاً ، وكان الوقت مبكراً ، فأخذت أتدرب في ملعب الجولف ، ثم لحقت بهما الى صالة الطعام ، حيث تناولنا وجبة خفيفة .

وتكلم أحدنا عن (البريدج) فقلت : لماذا لا نعود الى البيت لنلعب البريدج هناك ؟

هكذا عدنا !

ـ كانت فكرتك اذن !

ـ لا أذكر من الذي تحدث عن البريدج اولاً . لعله مستر هوغو بيرش

ـ ومتى عدتم الى هنا !

ـ لا أذكر بالتحديد .. ولكني أعتقد اننا غادرنا النادي قبيل الساعة الثامنة .

ـ كم تستغرق المسافة ، من النادي الى هنا . خمس دقائق ؟

ـ تقريباً .. ان ساحة الجولف تقع لصق حديقة هذا البيت .

ـ ثم بدأتم في لعب البريدج ؟

ـ نعم .

ـ أي أنكم بدأتم ، قبل مجيئي بنحو عشرين دقيقة . وهي مدة

لا تكفي ، طبعاً ، لإنهاء شوطين . والشروع في الشوط الثالث

قال ذلك ، وأشار الى ورقة على طاولة البريدج كانت كلاريسا قد كتبتها ..

فارتبك جيريمي وتمتم قائلا .

ـ ماذا ؟. كلا ، طبعاً .. إننا لعبنـــا ، الشوط الأول .. أمس !.

ـ هل كنت تعلم شيئاً عن الفجوة السرية ، بين هذه الغرفة وصالة المكتبة ؟

ـ تعني المكان الذي عثرت به على الجثة ؟

ـ ذلك ما أعني .

ـ لا ، لا !. لم تكن لدي أية فكرة عنه .. مخبأ عجيب .. أليس كذلك ؟

وجلس المفتش على الأريكة ، فانزلقت الوسادة ، ورأى المفتش القفازات الثلاثة

قال :

ـ معنى ذلك انك لم تكن تعلم بوجود الجثة هناك .

ـ انني كدت أن أسقط دهشة ، حين رأيتهـــا .. ولم أصدق عيني .

وكما يفعل المشدوه ، أخرج المفتش قفازاً ، فقال وهو يلوح به أمام الشاب :

ـ هل هذا قفازك يا مستر وارندر ؟

ـ لا .. أعني نعم .

ـ هل كنت تلبسه حين عدت من نادي الجولف ؟

ـ نعم ، كان الجو يميل الى البرودة .

ـ أظنك أخطأت يا مستر وارندر ..

فإنني أرى الحروف الأولى ، من اسم هيلشام براون مطرزة على حافة القفاز !.

ـ هذا مضحك حقاً ، فقد كان معي قفاز .

فأبرز المفتش القفاز الثاني فقال :

ـ لعله هذا ؟

فضحك جيريمي وقال :

ـ انك لن تستطيع خداعي ، مرة أخرى .. فالقفـــازات كلها تتشابه .

فأبرز المفتش القفاز الثالث ..

ثم قال وهو يفحص حافته :

ـ هذه القفـازات ، كلها ، عليها الحروف الأولى ، من اسم هيلشام براون .

ـ لا عجب ، فهذا بيته ، وليس مـــا يمنع من ان يكون لديه عدة قفازات .

ـ الشيء العجيب الوحيد ، هو انك ظننت ان أحدها قفازك ، في حين ان قفازك يطل الآن من جيبك .

فأخرج جيريمي القفاز من جيبه وقال :

ـ نعم .. هذا قفازي .

ـ إنه لا يشبه أياً من هذه القفـــازات الثلاثة !.. أليس كذلك ؟.

ـ الواقع ، إنه القفاز الذي استخدمه عندما العب الجولف .

فقال المفتش :

ـ شكراً لك يا مستر وارندر ، حسبنا هذا الآن .

وغادر جيريمة الغرفة إلى البهو وأغلق الباب خلفه .

أما المفتش فإنه وضع القفازات على المائدة أمامه ، وراح يتصفح كتاب (عظماء بريطانيا) حتى عثر على ضالته .

فقرأ :

« سير لازاروس شتاين ، رئيس مجلس إدارة شركة بترول الخليج ، هواياته : طوابع البريد ، الجولف ، صيد السمك .

« عنوانه : ٣٤٠ شارع برود و ٣٤ ميدان جروزفنور » .

الفصل الثامن

بينما كان المفتش يحاول التحقق من صدق البيانات التي أدلى بها جيريمي ، لمح الرقيب تحت الأريكة ورقة اللعب التي تركتها بيا ، والتقطها ، ورآه المفتش فسأله :

- ما هذا ؟

فأجاب الرقيب

- ورقة لعب وجدتها تحت الأريكة .

فتناول المفتش الورقة ونظر اليها وقال .

- الآس السباتي . .

ثم قلبها بين أصابعه وقال :

- حمراء ، كالأوراق التي لعبوا بها (البريدج) .

وتناول اوراق اللعب من فوق مائدة البريدج وبسطها أمامه وفحصها ورقة ورقة ثم قال ·

.. لا توجد بينها ورقة الآس السباتي اليست هذه ظاهرة غريبة يا جونز ؟.

- غريبة حقاً يا سيدي .

فقال المفتش وهو يضع ورقة الآس في جيبه ·

- الآن ، أريد التحدث إلى سير رولاند ديلاهاي .

فجمع الرقيب أوراق اللعب وأعادها إلى مكانها على مائدة البريدج ، ثم فتح باب المكتبة وقال :

- يا سير رولاند

فدخل السير رولاند

وقال المفتش وهو يشير إلى مقعد أمامه .

- تفضل بالجلوس يا سير رولاند .

ولمح السير رولاند القفازات ، وظل واقفاً لحظة ..

ثم هز رأسه وجلس

قال المفتش :

- ما عنوانك يا سير رولاند ؟

- قرية لينل بادوك بمقاطعة لنكولنشاير .

ثم أشار باصبعه إلى كتاب (عظماء بريطانيا) فقال :

- ألم يكن بوسعك أن تجد العنوان هنا أيها المفتش ؟

فقال المفتش :

- إني اود الآن أن أسمع قصتك عن أحداث هذا المساء منذ انصرفت من هنا قبيل الساعة السابعة .

- حين صفت السماء فجأة بعد يوم مطير ، اتفقنا فيما بيننا على الخروج لتناول الطعام في نادي الجولف ، نظراً لغياب الخدم اليوم ، ولم نكد نفرغ من الطعام حتى اتصلت بنا مسز براون تليفونياً ، وقالت أن زوجها اضطر إلى الخروج بغتة وسيعود في وقت متأخر ، واقترحت أن نعود إلى البيت لنشترك معاً في لعب البريدج ، وبعد نحو عشرين دقيقة من بداية اللعبة فوجئنا بزيارتك ، وأنت تعرف الباقي أيها المفتش .

- إن روايتك تختلف قليلاً عن رواية مستر وارندر

ـ أحقاً ؟ كيف ؟

ـ قال إن فكرة العودة إلى البيت للعب البريدج هي فكرة أحدكم، وبالتحديد فكرة مستر بيرش.

ـ الواقع أن مستر وارندر جاء إلى قاعة الطعام متأخراً، فلم يعلم أن مسز هيلشام براون اتصلت بنا.

وتراشق الرجلان بالنظرات لحظة.

واستطرد السير رولاند قائلاً:

ـ لا شك انك تعلم، اكثر مني ايها المفتش، انه قلما يتفق اثنان في رواية نفس الحدث، فإذا اتفقت اقوال ثلاثة أشخاص فإن ذلك يبعث على الارتياب.

ـ هل تسمح لي يا سيدي بأن أبحث معك موضوع هذه القضية ؟

ـ بكل سرور أيها المفتش.

ـ الرأي عندي ان هذا الرجل المدعو اوليفر كوستيللو، قد جاء إلى هذا البيت لغرض معين، هل تقرني على هذا الرأي يا سيدي ؟

ـ انه جاء ليعيد بعض أشياء أخذتها السيدة ميراندا خطأ.

ـ ذلك هو العذر الذي انتحله، ولكنه كان يهدف إلى غرض آخر

ـ قد تكون على صواب، أنا شخصياً لا أعرف

ـ ربما كان غرضه الحقيقي هو أن يقابل شخصاً بعينه، فقد يكون هذا الشخص هو أنت، او مستر وارندر، او مستر بيرش.

ـ لو انه اراد مقابلة مستر بيرش لذهب اليه في بيته، بدلاً من أن يبحث عنه هنا.

ـ ربما كنت على حق، وفي هذه الحالة يتبقى أربعة أشخاص، أنت ومستر وارندر، ومسز هيلشام براون، والآن .. ما مدى معرفتك بأوليفر كوستيللو ؟

ـ أنا لا أكاد أعرفه ، ولم أقابله سوى مرة او مرتين .

ـ أين لقيته ؟

ـ ففكر سير رولاند لحظة ثم اجاب .

ـ لقيته مرتين منذ عام في بيت هيلشام براون بلندن ، ومرة في أحد المطاعم .

ـ الم تكن لديك أسباب تغريك بقتله ا

فابتسم سير رولاند وتمتم :

ـ هل هذا إتهام أيها المفتش ؟

ـ كلا يا سير رولاند ، هذه عملية تصفية ، وأنا لا أعتقد ان هناك مـا يدفعك لقتل أوليفر كوستيللو ، وبذلك يبقى لدينا ثلاثة أشخاص

فصمت سير رولاند ولم يجب .

فقال المفتش :

ـ لنبدأ بمستر وارندر ، ما مدى معرفتك به ؟

ـ انني لقيته هنا لأول مرة منذ يومين ، ويخيل إلي انـــه شاب لطيف ومهذب ، ومثقف . وعلى الرغم من انني لا أعرف شيئاً عنـــه ، فإنني لا أعتقد انه يقدم على ارتكاب جريمة القتل .

ـ إذن سأستبعد مستر وارندر وانتقل إلى السؤال التالي ..

ـ وهو . ما مدى معرفتي بهنري هيلشام براون ، وبزوجته ، وجوابي هو أن هنري صديق قديم ومعرفتي به وثيقة . أما كلاريسا فإنني أعرف كل شيء عنها لأنها ربيبتي . ومن أحب الناس إلي ومن أقربهم لقلبي

ـ اظن أن هذه الاجابة توضح أشياء كثيرة .

ـ أحقاً ؟

ـ لماذا غيرتم خطتكم الليلة ولماذا عدتم لتتظاهروا بلعب البريدج ؟

ـ نتظاهر ؟

فأخرج المفتش ورقة اللعب من جيبه ، فقال وهو يلوح بها امام السير رولاند :

ـ إننا وجدنا هـــذه الورقة في الجانب الآخر من الغرفة ، تحت الأريكة . وأنا لا أصدق أبداً انكم استطعتم أن تلعبوا شوطـــين ، وتبدأوا الشوط الثالث بمجموعة من ورق اللعب ، تتألف من ٥١ ورقة وتنقصها ورقة الآس .

فتناول السير رولاند الورقة من يد المفتش ، ونظر إلى باطنهـــا وظاهرها ..

ثم أعادها اليه فقال :

ـ نعم .. هذا أمر يصعب تصديقه .

وسأله المفتش :

ـ كذلك أظن أن وجود ثلاثة من القفازات لمستر هيلشام براون هنا هو أمر يحتاج إلى إيضاح

فأجاب السير رولاند بعد صمت قصير

ـ يؤسفني ، انني لا استطيع ، أن أقـــدم لك هذا الايضاح . ايها المفتش .

ـ كلا يا سيدي . انني أعتقد انك تحاول أن تبذل قصارى جهدك للتستر على سيدة بذاتها . ولكن لا فائدة من ذلك يا سيدي ، لأن الحقيقة لا بد أن تظهر .

ـ ذلك ما أرجوه ..

ـ لقد كانت مسز هيلشام براون ، تعلم أن الجثـــة موجودة في المخبأ . ولست أدري ، هل هي التي وضعتها هنـــاك ، أو انكم ساعدتموها في ذلك ، ولكن الحقيقة التي لا شك فيها هي أنها كانت تعلم أن الجثة في المخبأ ..

واعتقادي هو ان اوليفر كوستيلو أتى إلى هنا للتهديد .

ـ التهديد ؟ . بم ؟ .

ـ ذلك ما سوف نعرفه .. إن مسز هيلشام براون شابة جذابة مرحة .. وأوليفر كوستيللو ، شاب وسيم ، يقال انه كان معبود النساء .

فصاح به سير رولاند :

ـ صه ، ولا تزد . سأقول لك الآن شيئاً تستطيع بسهولة ان تتحقق من صحته وصدقه ..

كان هنري هيلشام براون شقياً في زواجه الأول .. وكانت إمرأته الأولى جميلة ولكنها مضطربة عقلياً ونفسياً .. وبلغ من انحرافها وقسوتها وشذوذ طباعها ان أصيبت ابنتها بانهيار عصبي ، واضطر هنري إلى نقلها إلى إحدى المصحات .

ومما زاد الطين بلة .. ان الزوجة أدمنت المخدرات . أما كيف كانت تحصل على المخدرات فذلك ما لم نعرفه ، ولكن أصابع الاتهام كانت تشير بحق إلى كوستيللو .

كانت ميراندا مولعة به أشد الولع . وانتهى بها الأمر إلى هجر زوجها وابنتها والفرار معه .

وفي النهاية ، اضطر هنري إلى الموافقة على طلاقها ، ولكنه عثر على السعادة والهدوء والاستقرار في زواجه من كلاريسا .

وأستطيع أن أؤكد لك ، أيها المفتش ، انه ليس في حياة كلاريسا أية أسرار أثيمة .

كما أقسم لك انه لا يوجد في ماضيها او حاضرها ما يغري كوستيللو بتهديدها ..

ألا تظن انك قد أخطأت السبيل ايها المفتش ؟ . لماذا تعتقد أن

كوستيللو قد أتى لمقابلة شخص ما ؟. ألا يحتمل ان يكون أتى من أجل شيء ما ؟

– ماذا تعني يا سيدي ؟

– عندما حدثتنا عن مستر سيلون ، قلت ان رجال مكافحة المخدرات كانوا يراقبون في أمره ؟

أفلا ترى ان ثمة حلقات يتصل بعضها ببعض ؟ المخدرات ، مستر سيلون بيت مستر سيلون .

لقد علمت أن كوستيللو زار هذا البيت مرة لشراء بعض التحف من مستر سيلون . .

فلماذا لا نفترض ان كوستيللو كان يريد شيئاً في هذا البيت ، شيئاً في هذا المكتب مثلاً ؟

إن شخصاً أتى منذ أيام ، وطلب شراء هذا المكتب ، وعرض ثمناً خيالياً . .

فلماذا لا نفترض ان كوستيللو قد تسلل الى هنا من أجل هذا المكتب ، أو للبحث عن شيء في أدراجه ، وان شخصا تبعه إلى هنا . . وضربه وهو يفتش المكتب ؟.

– هناك افتراضات كثيرة .

– ولكنها معقولة .

– وهل من المعقول ، ان يكون ذلك الشخص ، قد وضع الجثة في المخبأ ؟

– ولم لا ؟.

– معنى ذلك ان ذاك الشخص كان يعلم بأمر المخبأ .

– لعله علم بأمره في عهد مستر سيلون .

فقال المفتش وقد فرغ صبره :

- كل ذاك ممكن ، ولكنه لا يفسر شيئاً واحداً .

- ما هو ؟

- إن مسز هيلشام براون كانت تعلم بوجود الجثة في المخبأ ، وحاولت ان تثنينا عن تفتيشه ، لا أحد يستطيع ان يقنعني بأنها لم تكن تعلم .

فصمت سير رولاند لحظة ثم قال :

- هل تسمح لي بالتحدث إلى ربيبتي أيها المفتش ؟

- لا مانع ، ولكن في حضوري .

- موافق .

- جونز ، إستدع مسز هيلشام براون .

وأقبلت كلاريسا بعد برهة ، فأسرع اليها سير رولاند ، وقال لها بصوت خافت :

- كلاريسا ، أيتها العزيزة ، إنني أريـــدك ان تصارحي المفتش بالحقيقة .

- أصارحه بالحقيقة !

- نعم .. فذلك خير ما يمكن عمله .

ونظر اليها طويلاً ، ثم خرج إلى البهو .

وأشار المفتش إلى الأريكة وقال :

- تفضلي بالجلوس يا سيدتي .

- يؤسفني انني قلت لك كل الأكاذيب . ولكن كثيراً ما يختلط الأمر على الإنسان فتمتزج الحقائق بشطحات الخيال .

فقال المفتش ببرود :

- لنترك الخيال جانباً ولنتحدث في الحقائق .

- إن القصة بسيطة وتتلخص في كلمة : أتى اوليفر وانصرف ، ثم أتى زوجي وانصرف . فتشاغلت باعداد بعض الشطائر .

ـ الشطائر !

ـ نعم .. لأنني أعلم ان زوجي سيستضيف مندوباً هاماً ، قادماً من الخارج .

ـ من هو هذا المندوب ؟

ـ شخص يدعى مستر جونز

فنظر المفتش الى الرقيب وقال :

ـ مستر جونز ؟

ـ نعم ، والمفهوم أنهم سيتناولون الشطائر أثناء الحديث ، ولذلك أتيت بالشطائر ووضعتها على المائدة ، وشرعت في ترتيب الأثاث ، وعندما هممت بوضع كتاب على الرف اصطدمت قدماي بشيء..

ـ بالجثة ؟

ـ نعم ، كانت وراء المكتب ، انحنيت فوقها لأرى ما إذا كان صاحبها على قيد الحياة ، وتبينت وجه أوليفر كوستيللو وارتبكت ، ولم أعرف ماذا يجب أن أفعل ، وأخيراً اتصلت بنادي الجولف ، وطلبت إلى السير رولاند ومستر بيرش وجيريمي وارندر ان يحضروا .

فقال المفتش ببرود :

ـ ولم تفكري في الاتصال بالبوليس ؟

ـ فكرت ، ولكنني لم أتصل .

فتنهد المفتش ورفع عينيه إلى السماء وقال :

ـ فكرت ولكن لم تتصلي ، لماذا ؟

ـ خطر لي ان ذلك قد يسيء الى مركز زوجي . . أنت تعرف الدبلوماسيين أيها المفتش . . إنهم يعملون في هدوء وينفرون من الضجة ، وجرائم القتل من شأنها ، كما تعلم ، أنها تثير الضجة . . وتلوكها الألسن ، وتتحدث عنها الصحف .

ـ أعلم ذلك .

ـ انني سعيدة لأنك فهمت وجهـة نظرى ، المهم اني جسست نبضه وتحققت من موته ، وعندئذ خطر لي انه لا فرق بين وجود الجثة هنا او وجودها في غابة مارسدن .

ـ غابة مارسدن ! ما علاقتها بالجريمة ؟

ـ اني فكرت في نقل الجثة اليها .

فعقد المفتش يديه وراء ظهره ، وراح يذرع الغرفة جيئة وذهاباً ، ثم وقف أمام كلاريسا فجأة وقال :

ـ اصغي الي يا مسز هيلشام براون ، ألم يقل لك أحد ان الجثث ، في حالة الشك في وقوع جريمة ، لا يجب أن تمس ، أو تنقـل من مكانها ؟ .

ـ اني أعرف ذلك من القصص التي قرأتها ، ولكن واقع الحياة يختلف عما في القصص .

ـ هل تدركين خطورة هذا الكلام ؟

ـ طبعاً ، ألم تطلب الي ان أروي الحقيقة ؟ . المهم اني اتصلت بهم في النادي فأتوا على الفور .

ـ وأقنعتهم بأن يخفوا الجثة في المخبأ ؟

ـ كلا ، ذلك حدث فيما بعد ، ولكن خطتي في البداية ، كانت ان يتعاون الرجال الثلاثة في وضع جثة اوليفر في سيارته ، وترك السيارة والجثة في الغابة .

ـ ووافقوا ؟

فردت وهي تبتسم :

نعم _ افقوا .

ـ اسمحي لي ان أقول لك بصراحة اني لا أصدق كلمة واحدة مما قلت . .

لا أصدق ان يوافق ثلاثة رجال محترمين على عرقلة سير العدالة بهذه الطريقة الفظة تحقيقاً لغرض تافه كالذي ذكرته .

فقالت وهي تنهض :

ـ كنت أعلم انك لن تصدقني ، اذا أخبرتك الحقيقة .. ماذا تصدق اذن ؟

فقال المفتش :

ـ اني لا أرى سوى سبباً واحداً يمكن ان يقنع الرجال الثلاثة بالاتفاق على الكذب .

ـ وهو ؟

ـ وهو اعتقادهم أو علمهم بأنك التي ارتكبت الجريمة .

ـ ولكن ماذا يدفعني الى ارتكابها ؟. لا يوجد دافع على الاطلاق آه .. كنت أعلم انك ستظن هذا .. ولذلك ..

وصمتت بغتة ، فنظر اليها المفتش بحدة وقال :

ـ ولذلك ؟

وراحت كلاريسا تعصر ذهنها ، وساد الصمت برهة ، وبدا على وجهها كأنها حزمت رأيها على أمر ..

وبدأت تتكلم ، ولأول مرة ، بدا كلامها مقنعاً .

ـ حسناً ، سأصارحك بكل شيء .

ـ من الحكمة ان تفعلي ذلك .

ـ نعم ، أظن من الأفضل ان أروي الحقيقة .

ـ أؤكد لك ان الكذب على البوليس لن يؤدي الى أية نتيجة وخير لك ان تسردي القصة كما حدثت .

فتنهدت وجلست على أحد المقاعد وهي تقول :

ـ يا الهي ! كنت أظن اني من الذكاء بحيث أستطيع خداعك .

ـ من مصلحتك ألا تمارسي ذكاءك مع رجال البوليس . والآن مـــا هي القصة ، ماذا حدث هذا المساء ؟

ـ كانت البداية كما رويتها لك ، ودعت اوليفر فانصرف مع مسز بيك ، ولم يخطر لي ببال انه سيعود بل اني ما زلت أجهل لماذا عاد . ثم أتى زوجي وقال ان لديه مهمة تستوجب انصرافه فوراً فاستقل سيارته ، وما كدت أغلق الباب الخارجي حتى شعرت بأعصابي تتوتر بغتة .

ـ لماذا ؟

ـ ان أعصابي قلما تتوتر، ولكنني أدركت بغتة انني وحدي في المنزل لأول مرة منذ انتقلنا الى هنا .

ـ وماذا حدث بعد ذلك .

ـ حاولت ان أتشجع وقلت لنفسي : لماذا الخوف والقلق ، ألا يوجـــد تليفون يمكن استخدامه في طلب النجدة عند الضرورة ؟ ثم ان اللصوص قلما يمارسون عملهم في مثل هذا الوقت المبكر !

ولكني مع ذلك ظللت أتصور اني أسمع وقع أقدام ، وأبواب تفتح ثم تغلق وقررت في النهاية ان أشغل نفسي بشيء !

ـ وبعد ؟

ـ ذهبت الى المطبخ ، وأعددت الشطائر لهنري وضيفه ، ووضعتها في صحفة ، واجتزت البهو ، وكنت في طريقي الى هنا ، حـــين سمعت صوتاً !

ـ أين ؟

ـ في هذه الغرفة ، كنت واثقة ان ما سمعته هذه المرة ليس وهماً ، كان صوت أدراج تفتح وتغلق ، وتذكرت فجأة ، اني تركت الباب المؤدي الى الحديقة مفتوحـــاً ، وأيقنت ان شخصاً ، لا بد ، قد دخل منه .

- امضي في حديثك يا مسز هيلشام براون !

- لم أعرف ماذا ينبغي ان أفعل .. وتسمرت في مكاني ، ثم قلت لنفسي : ألا يحتمل ان يكون هنري او سير رولاند او أحد الرجلين الآخرين قد عاد لأمر ما ؟.

في هذه الحالة سأكون أضحوكة إذا أنا صعدت إلى غرفتي واستخدمت الوصلة التليفونية في الاستغاثة بالبوليس .

ثم فكرت في خطة .

- نعم .

- ذهبت إلى المكتبة ، عن طريق البهو ، وتناولت أضخم واثقل عصا من مجموعة العصي التي يحتفظ بها زوجي هناك .

وتسللت إلى الفجوة ، على أمل ان أنفذ منها إلى هنا ، فـــأرى ما يحدث .

فعلت كل ذلك في هدوء تام ، ودون ان أضيء النور .. وكما يوجد هنا زر لتحريك رفوف الكتب ، يوجد كذلك زر مماثل في الناحية الأخرى ..

ضغطت الزر ، وتحركت الرفوف ، ويبدو انها احتكت بأحد المقاعد لأني رأيت رجلا منحنياً فوق الكتب ، فلما سمع حركة الرفوف إعتدل واقفاً ..

وحينئذ رأيت في يده شيئاً يلمع خيل إلي انه مسدس ، واستولى علي الذعر وخشيت ان يطلق علي الرصاص ، فأهويت على رأسه بالعصا بكل قوتي فسقط على الأرض .

قالت ذلك وهوت على أحد المقاعد ، ودفنت وجهها بين كفيها وتمتمت بصوت خافت :

- علي بقليل من البراندي .. أرجوك .

فوثب المفتش من مقعده وصاح :

— جونز !

وأسرع الرقيب إلى قدح البراندي .. الذي تركه سير رولاند على المكتب .

فتناوله وقدمه إلى المفتش الذي ناوله بدوره إلى كلاريسا .

ورفعت كلاريسا القدح إلى شفتيها واحتست جرعة كبيرة ، وسعلت بشدة ، وأعادت القدح إلى المفتش الذي أعاده بدوره إلى الرقيب ، فوضعه هذا على المكتب وعاد إلى مكانه .

واقترب المفتش من كلاريسا وقال لها في رفق :

— هل تستطيعين الاستمرار يا مسز هيلشام براون ؟

فردت كلاريسا :

— نعم .. نعم !. سقط الرجل على الأرض ، ولم يتحرك ، فأضاءت النور ، ونظرت إلى وجهه .

عرفت انه اوليفر كوستيللو .

كان جثة هامدة ، وكان الموقف رهيباً .

لم أفهم ما الذي أتى به ، أو لماذا كان يعبث بأدراج المكتب .

خيل إلي إني أعاني من كابوس مزعج ، واستبد بي الذعر فاتصلت بنادي الجولف واستنجدت بالسير رولاند .

فجاء على عجل ومعه زميلاه ، فرجوتهم ان يتعاونوا معي ، وان ينقلوا الجثة بعيداً عن هنا .

— ولكن لماذا ؟

— لأني كنت جبانة .. كنت جبانة رعديدة .. خشيت من الضجة التي ستثيرها الصحف ..

خشيت من الوقوف أمام البوليس ، والمثول أمام المحكمة ، وخشيت أكثر

على زوجي ومركزه ومستقبله

ثم رفعت وجهها إلى المفتش واستطردت قائلة :

– لو كان القتيل لصاً ، لواجهت كل ذلك بشجاعة .. أما وهو شخص نعرفه . شخص تزوج من مطلقة هنري ، كان الموقف رهيباً ومربكاً في وقت معاً .

– خاصة وان القتيل حاول قبيل مصرعه ، ان يحصل منك على نقود بطريق الابتزاز .

– الابتزاز ؟ هذا سخف . إذ ليس في حياتي ما يدعو إلى ممارسة الابتزاز معي .

– لقد سمعك ايلجن تتحدثين عن الابتزاز !

– لا أعتقد انه سمع شيئاً كهذا ، وإذا أردت رأيي ، فإني أقرر ان هذه فرية لا أساس لها !

– هل تريدين إقناعي بأن الابتزاز ، لم يرد له ذكر في حديثك مع كوستيللو ؟

فضربت كلاريسا المائدة بقبضة يدها وصاحت :

– أؤكد لك ، بل وأقسم لك ، ان هـــذه الكلمة لم ترد في حديثنا !

وهمت بأن تدق المائدة مرة أخرى توكيداً لكلامها ، ولكن يدها توقفت في منتصف الطريق ، وما لبثت ان ضحكت وقالت وكأنها تحدث نفسها :

– آه ، لا بد ان يكون ذلك

– هل تذكرت الآن ؟

– الواقع ان الكلمة وردت في حديث تافه عن إيجار البيوت المفروشة ، فقد قال اوليفر ان أصحاب هذه البيوت يطلبون إيجاراً فاحشاً ، فقلت له

إننا سعداء الحظ حين وجدنا هذا البيت ، لأننا ندفع أربعة جنيهات فقط في الأسبوع ..

فلم يصدق ذلك وقال :

– إذا صح هذا كان ابتزازاً ، إنكم تبتزون مال صاحب البيت .

قال المفتش .

– أنا آسف يا مسز هيلشام براون .. الواقع اني لا أستطيع أن أصدق ذلك .

– لا تستطيع ان تصدق ماذا ؟

– انكم تدفعون أربعة جنيهات فقط في الأسبوع ، إيجاراً لهذا القصر بأثاثه ورياشه .

فقالت وهي تنهض :

– أنت أعجب انسان رأيته ، فإنك لا تصدق شيئاً على الإطلاق ، وأكبر الظن انك لم تصدق كلمة واحدة مما قلته لك الليلة .

ان بعض أقوالي لا أستطيع إثباتها .. ولكني فيما يختص بالمنزل استطيع ان أقدم الدليل .

قالت ذلك وذهبت الى المكتب وفتحت أحد أدراجه وراحت تبحث بين الأوراق ثم صاحت .

– هوذا عقد الإيجار .

وقدمت العقد للمفتش واستطردت قائلة :

– عقد قانوني يحمل توقيع المحامي المكلف بتنفيذ وصية صاحب المنزل .. اقرأ .. أربعة جنيهات في الأسبوع .

فهز رأسه دهشة وعجباً وغمغم قائلاً :

– غير معقول .. غير معقول على الاطلاق .

فنظرت اليه وقالت وعلى شفتيها ابتسامة فاتنة

ـ الا ترى من واجبك أن تعتذر ايها المفتش ؟

ـ انني اقدم لك اعتذاري يا مسز هيلشام براون ، ولكني ما زلت أرى ان الأمر في منتهى الغرابة .

ـ لماذا !.

ـ لأنه حدث منذ بضعة أسابيع أن سيدة وزوجها جاءا إلى هـذا البيت لمشاهدته ومحاولة استئجاره ، واتفق أن فقدت السيدة عقداً ثميناً فأبلغت مركز الشرطة عن فقده ، وذكرت اوصافه ..

وقالت في معرض حصرها للأماكن التي ترددت عليها انها جاءت إلى هذا البيت بغية استئجاره ، ولكنهم طلبوا منها ايجاراً ثمانية عشر جنيهـاً في الأسبوع .. وكان من رأيها أن الايجار مبالغ فيه ، بل لا يتناسب مع بيت ريفي يبعد عدة اميـــال عن أقرب مدينة ، وانها عدلت عن استئجاره .

فابتسمت كلاريسا فقالت :

ـ الان فهمت لماذا لم تصدقني ، ولكني أرجو ان تكون صدقت ولو بعض ما ذكرته لك عن الجريمة .

فقال المفتش :

ـ انني لا ارتاب في قصتك الأخيرة ، فنحن نعرف الصدق عندمـــا نسمعه ؛ كما عرفت على الفور أن هناك أسباباً قوية حملت أصدقاءك الثلاثة على التستر عليك .

ـ أرجو ألا تلومهم ايها المفتش ، فإن الخطأ خطأي ، فقـد ألححت عليهم بإصرار حتى وافقوا .

فقال المفتش ، حين شعر بجاذبيتها وفتنتها :

ـ انا واثق من ذلك ، ولكن الشيء الذي لم افهمه بعد ، هو من الشخص الذي اتصل بنا تليفونياً وأبلغ عن الجريمة .

آه . هذا صحيح ، لقد نسيت ذلك .

- من المؤكد انك لم تفعلي ذلك ، كذلك لا يمكن أن يكون أحد أصدقائك الثلاثة هو الذي اتصل بنا ..

فقالت كلاريسا كمن يحدث نفسه :

ربما ايلجن .. او مسز بيك

كلا . مسز بيك لم تتصل بنا .. إنها لم تكن تعلم أن الجثة مخبوءة هنا .

فقالت كلاريسا وهي تضرب أخماساً لأسداس .

- من يدري ؟

- لا . لا .. إنها أصيبت بنوبة هستيرية حين وجدت الجثة .

- أوه . ان أي إنسان يستطيع أن يتظاهر بذلك .

وفطنت على الفور إلى زلة لسانها .

ونظرت الى المفتش من ركن عينها . ورأته ينظر اليها بارتياب . لقد تظاهرت هي الأخرى بالانهيار وهي تصف كيف انهالت على رأس كوستيللو بالعصا ..

فقال المفتش :

- وعلى كل حال فإن مسز بيك لا تقيم في هذا البيت ، لأن لها كوخها الخاص .

- ولكن لديها مفاتيح لكل الأبواب ، وفي استطاعتها دخول البيت في أية لحظة .

- من المرجح أن ايلجن هو الذي اتصل بنا .

- انك لن تبعث بي إلى السجن . اليس كذلك ؟ سير رولاند اخبرني انك لن تفعل ذلك

-- من حسن حظك انك عدلت عن القصة الأولى ، في الوقت المناسب ،

وذكرت الحقيقة . وإذا أردت رأيي فإنني انصح لك بأن تتصلي بمحاميك في أقرب فرصة .. أما الآن .. فإنني سأرسل أقوالك لنسخها على الالة الكاتبة لكي توقعي عليها .

وفي هذه اللحظة ، فتح الباب المؤدي إلى البهو ، ودخل سير رولاند فقـال :

ـ لم اطق الانتظار اكثر مما انتظرت ، هل كل شيء على ما يرام ايها المفتش ؟ هل عرفت الان كل ظروف الحادث .

فأسرعت اليه كلاريسا فقالت وهي تتناول يديه :

ـ يا عمي العزيز .. لقد أدليت بأقوالي ، وسيقوم الرقيب جونز بكتابتها على الالة الكاتبة لكي أوقع عليها ..

لقد اعترفت بكل شيء ، وذكرت المفتش كيف انني ظننتـــه لصاً فضربته بالعصا .

فنظر اليها سير رولاند في هلع ، وهم بالكلام ، ولكنها وضعت يدهـا على فمه لتسكته .

واستطردت تقول :

ـ ثم كيف اكتشفت انه اوليفر فدب الرعب في قلبي .. فاتصلت بكم في النادي .. وتوسلت اليكم .. ولم اكف عن التوسل حتى وافقتم على خطتي ..

انني أدرك الان كم كنت مخطئة . ولكني في حينها كنت نهبة الخوف والفزع ، حتى خيل الي أن من مصلحة الجميع ، هنري وأنا ، بل وميراندا نفسها لو ان الجثة وجدت في غابة مارسدن .

فوجم سير رولاند لحظة ثم تمتم :

ـ ما هذا الذي قلته للمفتش يا كلاريسا !

فقال المفتش بارتياح :

ـ ان مسز هيلشام براون ادلت باعتراف كامل يا سيدي .
فهز سير رولاند رأسه ببطء وتمتم بصوت خافت :
ـ هكذا يبدو .
فقالت كلاريسا :
ـ كان ذلك خير ما يمكن عمله .. بل كان الشيء الوحيد الذي يجب عمله بعد أن أوضح لي المفتش الخطأ والصواب وهداني الى سواء السبيل.
فقال المفتش :
ـ سيكون ذلك في مصلحتك آخر الامر .. والان يا مسز هيلشام براون . انني لا أريدك أن تدخلي المخبأ والجثة فيها .. ولكني أريدك ان توضحي لي بكل تفصيل . اين كان يقف الرجل عندما فاجأته .
ـ آه .. نعم ..
وهرولت إلى المكتب ..
ووقفت الى يساره فقالت :
ـ كان يقف هنا .. هكذا ..
فاقترب منها المفتش واشار إلى الرقيب ، فلحق به هذا ، ووضع اصبعه على الزر .
فقال المفتش :
ـ آه ..
وعند ذلك تحركت الرفوف ..
فضغط الرقيب الزر ، وتحركت الرفوف وكشفت عن المخبأ .
فقال المفتش مستطرداً :
ـ وخرجت انت من هنا ..
وحانت منه التفاتة الى المخبأ وجمد في مكانه ..
ثم دار على عقبيه وصاح :

ـ يا للشيطان ! اين الجثة !

وعاد إلى المخبأ ، ورأى على ارضه قصاصة من الورق ، فالتقطها ..

بينما كانت عيناه ترمقان كلاريسا وسير رولاند بنظرة اتهام ..

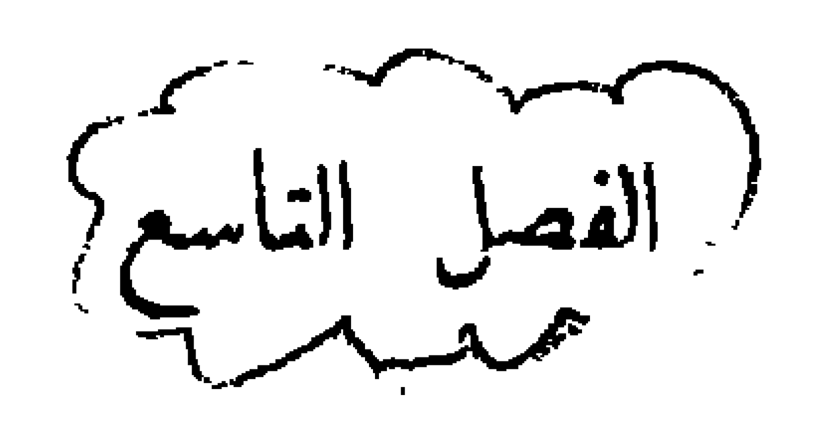
بسط الورقة بين اصابعه ..

فقرأ بصوت ، مسموع :

« خاب فألك .. لقد سبقتك إلى الكنز » .

وفي هذه اللحظة ..

رن جرس الباب الخارجي رنيناً متصلاً .



كان اختفاء جثة القتيل مفاجأة أذهلت الجميع وصرفتهم عن جلبة سيارات أجهزة الأمن أمام البيت .

وكان المفتش ومعاونه – رغم هول المفاجأة بالنسبة اليهما بصفة خاصة – أول من شعر بالضجة وهرولا إلى الباب الخارجي تلبية لرنين الجرس المتواصل .

ولم يفق رولاند وكلاريسا من دهشتهما إلا بعد حين ، فقد تسمرا في مكانهما وراح كل منهما ينظر إلى الآخر في حيرة وعجب .

على أن حيرة كلاريسا كان يخالطها شيء من الارتياح .

ولعلها أدركت بالبديهة .. ان اختفاء الجثة ، معناه انتفاء وقوع الجريمة ..

ولم يفق رولاند وكلاريسا من دهشتهما تماماً إلا حينما طرق أذانهما جانب من الحوار الصاخب الذي يدور في البهو . والذي بدا فيه صوت المفتش ضعيفاً متهافتاً .

سمعاه يقول

– آسف جداً يا دكتور ، أؤكد لك انه كانت لدينا جثة .

فقال الطبيب الشرعي :

- هل تعني انني قطعت كل هذه المسافة على غير طائل ؟ ألم تبلغ عن جريمة القتل ، وتطلب فحص الجثة ، وإيفاد المصور وخبير البصمات ؟

- ولكني أؤكد لك أن الجثة كانت موجودة .

وهنا اشترك هوغو وجيريمي في الحديث .

فقال الأول :

- ماذا تفعلون إذن ، يا رجال الشرطة ، إذا كانت الجثث تختفي من أمامكم ؟

فقال جيريمي :

- لا أعلم لماذا يضعون شرطياً في حراسة الجثة .

وتمتم الرقيب :

- لم يذكر المفتش سوى الحقيقة ، يا دكتور .. فقد كانت هناك جثة ..

فسأل الطبيب :

- أين ذهبت إذن ؟

فأجاب المفتش :

- هذا ما سوف نعرفه .

فرد الطبيب :

- لا مناص من أن أقدم لرؤسائك تقريراً عن هذا الموضوع ايها المفتش .. طاب مساؤك .

- طاب مساؤك يا سيدي .

* * *

ثم سمع رولاند وكلاريسا وقع أقدام كثيرة خارج البيت .

وبعد لحظة صمت قصيرة ، ارتفع صوت المفتش وهو يقول في غضب :

-- والآن يا إيلجن ؟

فأجاب الخادم :

-- انني لا اعرف شيئاً عن ذلك يا سيدي ، اؤكد لك انني لا أعرف شيئاً .

فضحكت كلاريسا وتهالكت على الأريكة ..

بينما ذهب رولاند إلى الباب وأغلقه ليحجب الأصوات في الخارج . فقال :

-- لقد جاءت اجهزة الأمن في وقت غير مناسب ، ويبدو أن الطبيب الشرعي قد استشاط غضباً حين لم يجد جثة يفحصها .

-- ولكن من الذي أخفى الجثة ؟ هل تعتقد أن جيريمي فعل ذلك بطريقة ما ؟

فأجاب سير رولاند :

-- لا أظن ذلك ، فإنهم لم يسمعوا لأحد بدخول قاعة المكتبة ، ثم أن الباب بين المكتبة والبهو مغلق .

ثم هز رأسه واستطرد قائلاً :

-- مسكين المفتش لورد ، كانت العبارة التي كتبتها بيبا على الورقة بالنسبة اليه بمثابة القشة التي قصمت ظهر البعير

فضحكت كلاريسا .

وتابع السير رولاند :

على ان وجود الورقة في المخبأ يدل على شيء هام .. هو أن كوستيلло اهتدى إلى الدرج السري وفتحه ..

ثم قطب ما بين حاجبيه وفجأة فقال :

– لماذا لم تصارحي المفتش بالحقيقة يا كلاريسا ؟

– اني صارحته بكل شيء فيما عدا دور ببا في الحادث .

– لماذا حشوت ذهنه بكل تلك الخزعبلات بحق السماء !

– الواقع انني لم أقل له سوى الأشياء التي اعتقدت انه سيصدقها ، وقد صدقها ..

– ولكنك زججت بنفسك في مأزق خطير .. جريمة قتل غير متعمدة .

– دفاعاً عن النفس .

وفتح الباب في هذه اللحظة .

ودخل هوغو وجيريمي وهتف الأول :

– لكم ضايقنا ذلك المفتش الوغد !.. وأخيراً فقد الجثة واختفى .

وسأل جيريمي وهو يتناول إحدى الشطائر :

– يا له من حادث مضحك !

فقالت كلاريسا :

– بل انه حادث مثير وعجيب ، ولكن من الذي اتصل بالبوليس وأنبأهم بأن جريمة قتل ارتكبت هنا !

فقال جيريمي :

– ايلجن ..

وقال هوغو :

– بل تلك المرأة مسز بيك

فقالت كلاريسا :

– ولكن لماذا ..

وهنا دخلت مسز بيك الغرفة متسللة ، وأجالت البصر حولها

بطريقة مريبة .

وهمست تقول .

هل خلا الجو ! ألا يوجد هنا أحد من رجال الشرطة .. لقد اجتاحوا البيت كسرب من الجراد

فقال سير رولاند :

- إنهم يبحثون ويفتشون

- عن اي شيء !

- عن الجثة . انها اختفت .

فقهقهت مسز بيك ضاحكة وقالت .

يا لها من نكتة ! الجثة التي اختفت ، الجثة التي تبخرت ، تماماً كما يحدث في الأفلام ، اليس كذلك يا مسز كلاريسا !

فقال سير رولاند :

- هل تشعرين بأنك أحسن حالاً يا مسز بيك !

- أنا بخير ، شكراً لك ، انني قوية البنية ، ولكن ظهور الجثة أمامي فجأة صدمني وهز اعصابي .

فقالت كلاريسا :

لقد خطر لي انك ربما كنت تعلمين بوجودها .

فصاحت المرأة وهي تحملق في وجه كلاريسا :

- من .. انا ..

- نعم ، انت .

فقال هوغو :

- انني اتساءل ، ما الفائدة من سرقة الجثة او اخفائها .. اننا جميعاً نعرف ان هناك جثة كما اننا نعرف صاحبها .

فقالت مسز بيك :

ـ انني اخالفك الرأي يا مستر بيرش ، فوجود الجثة ضروري لاقامة الدعوى ، وبدونها لا يمكن توجيه الاتهام الى أحد .

ثم تحولت إلى كلاريسا .

واستطردت تقول :

ـ وهكذا يمكنك ان تطمئني يا مسز كلاريسا .. اطمئني ، سيكون كل شيء على ما يرام .

ـ هل تعنين ان ..

ـ انني ارهفت اذني جيداً ، وسمعت كل ما قيل الليلة ، والواقع انني لم اقضي الوقت كله مسجاة على الفراش في غرفة الضيوف .

ـ إذن فقد سمعت !

ـ انني اقول لنفسي دائماً « قفي إلى جانب بنات جنسك » ولذلك اؤكد لك ايتها العزيزة انهم إذا لم يجدوا الجثة فسوف لا يستطيعون ان يوجهوا اليك الاتهام

وإذا كان المجرم قد حاول ابتزازك فإنك احسنت صنعاً بضربه على أم رأسه ، وليذهب إلى الشيطان .

ـ ولكني لم .

فقالت مسز بيك :

ـ انني سمعت كل ما قلته للمفتش ، ولولا خيانة ذلك الرجل المدعو ايلجن ودأبه على استراق السمع لصدق المفتش قصتك .

ـ اية قصة !

ـ تلك التي ذكرت فيها انك توهمت ان القتيـــل اص .. ولولا حكاية الابتزاز لما ارتاب المفتش في كلمة منها ، فقد خطر لي انه لا يمكن انقـــاذ الموقف إلا بطريقة واحدة ، هي التخلص من الجثة وترك رجـــال البوليس يتصببون عرقاً في البحث عنها .

قالت ذلك ونظرت حولها بفخر واستطردت :

– كانت الفكرة رائعة ، وتنفيذها أروع

فبهت سير رولاند ، وصاح حيريمي :

– هل تعنين ان . انك التي فعلت ذلك ؟

واتجهت العيون إلى المرأة القصيرة البدينة ، فضحكت في مرح وقالت وهي تدير الطرف حولها :

– السنا جميعاً أصدقاء ؟ نعم ، انا التي نقلت الجثة . إن معي مفاتيح لجميع غرف البيت .

فقالت كلاريسا :

– ولكن كيف ، وأين أخفيتها ؟

فانحنت مسز بيك إلى الأمام وقالت بصوت خافت :

– تحت الفراش ، في غرفة الضيوف .

– ولكن ، كيف استطعت نقلها بمفردك ؟

فأجابت وهي ترفع هامتها وتدق على كتفها :

– حملتها على كتفي هذه .

فقال سير رولاند :

– ولكن هبي ان أحداً رآك وأنت تصعدين بها درج السلم ؟

– لم يرني أحد ، فقد كان المفتش مشغـولاً باستجواب مسز كلاريسا ، وكنتم أنتم في غرفة الطعام ، فانتهزت الفرصة ، وتسللت الى المكتبة عن طريق البهو .. وحملت الجثة ، وأعدت غلق باب المكتبة . وصعدت بالجثة إلى غرفة الضيوف

فهز رولاند رأسه في دهشة وعجب ، وتمتم قائلاً :

– الحق اني لا أ كاد أصدق ما أسمع .

فردت كلاريسا :

- ولكن الجثة لا يمكن ان تبقى تحت الفراش إلى الأبد .

فقالت مسز بيك :

- لا . إنها لن تبقى هناك إلى الابد بطبيعة الحال . يكفي أربع وعشرون ساعة ، ريثما يفرغ رجال البوليس من البحث في المنزل والحديقة وينطلقون للبحث في جهة أخرى .

على اني لم أتوقف عن التفكير في الأمر ، فتـذكرت اني حفرت اليوم خندقاً عميقاً في الحديقة لزرع (البسلة) .

وخطر لي انه ليس أفضل من مواراة الجثة في ذلك الخندق واستنبات بضعة صفوف من البسلة فوقها

فهزت كلاريسا رأسها وقال سير رولاند :

- معذرة يا مسز بيك . ان حفر القبور لم يعد من الأعمال الخاصة التي يستطيع اي إنسان ان يتولاها ، لا بد من ترخيص من السلطات المسؤولة التي تحدد المكان ومواصفاته .

فضحكت مسز بيك وردت :

- هكذا أنتم دائماً أيها الرجال . تقيمون المراقيل وتعقدون الأمور ، أما نحن النساء فإننا أكثر منكم إقداماً ، ولا نحجم حتى عن ارتكاب جريمة قتل عند اللزوم .

اليس كذلك يا مسز كلاريسا ؟

قال هوغو :

- لا تصدقي أبداً ان كلاريسا ارتكبت هذه الجريمة .

- إذا لم تكن هي ، فمن الذي ارتكبها ؟

وأقبلت بيبا آتية من البهو ؟

كانت تتثاءب وتترنح وقد أثقل النوم جفونها .

ودهشت كلاريسا حين أبصرت بها ، فأسرعت اليها وهي تهتف :

- بيا !. ماذا تفعلين هنا .. ولماذا غادرت الفراش ؟

- إني جائعة .

فأجلستها كلاريسا على الأريكة وجلست بجوارها وقالت :

- ظننتك نائمة !

- إني نمت ، ورأيت حلماً مزعجاً ، وخيل إلي ان شرطياً دخل غرفتي ونظر إلي .. فاستيقظت وشعرت بالجوع ، فجئت . وأنا أخشى ان يكون ما رأيته صحيحاً

- ماذا رأيت ؟

- الحلم المزعج عن اوليفر

ومرت بجسدها رعدة ، فقال سير رولاند :

- ماذا رأيت في حلمك عن اوليفر يا بيا ؟ أخبريني .

فأخرجت بيا من جيب ثوبها تمثالاً صغيراً من الشمع وقالت :

- إنني صنعت هذا التمثال الليلة . أذبت شمعة ، وصنعت منها التمثال ، ثم وضعت دبوساً في النار ، حتى احمر ، فطعنت به قلب التمثال ..

وقدمت التمثال للسير رولاند فصاح جيريمي :

- يا إلهي .

ووثب من مقعده بسرعة ، وراح يبحث عن الكتاب القديم ، الذي اشترته بيا .

قالت الفتاة :

- اني رددت الكلمات المطلوبة ، ولكني لا أعتقد انني أجريت التجربة بكل التفصيلات المذكورة في الكتاب

واستمر جيريمي في بحثه عن الكتاب حتى عثر عليه بين الكتب في أحد الرفوف فتناوله وقدمه لكلاريسا وهو يقول .

– ها هو الكتاب الذي تتكلم عنه ، إنها اشترته اليوم من حانوت بيع الكتب القديمة .

فتناولت كلاريسا الكتاب وقرأت عنوانه :

« مائة وصفة مضمونة النجاح »

ثم قرأت بين محتويات الكتاب :

كيف تزيل الزوائد الجلدية.

كيف تحقق آمالك

كيف تدمر عدوك .

وصاحت في هلع :

– يا إلهي .. أهذا ما فعلته يا بيا ؟

– نعم .

فحملقت كلاريسا في التمثال واستطردت الفتاة :

– إنه لا يشبه اوليفر تماماً .. ولكني لم أستطع ان أصنع خيراً منه .. ثم حلمت اني جئت الى هنا ورأيته خلف المكتب ميتاً .. واني قتلته حين غرست الدبوس في تمثاله . تماماً كما ورد في الكتاب .. فهل مات حقاً ؟ هل قتلته ؟

فردت كلاريسا بلطف وهي تحيطها بساعدها :

- لا أيتها العزيزة ، لا .

لكنه كان هناك ، خلف المكتب .

فقال سير رولاند :

– صحيح انه كان هناك يا بيا .. ولكنك لم تقتليه .. إن ما فعلته عندما غرزت الدبوس في التمثال ، هو انك قتلت حقدك عليه ، وخوفك منه .

أنت الآن لا تخافينه ، ولا تحقدين عليه ، اليس كذلك ؟

فرفعت الفتاة رأسها ونظرت اليه قائلة :

- نعم .. ولكني جئت إلى هنا ، ورأيته ، وكان ميتاً . نعم ، إني رأيته .

وأسندت رأسها ، الى صدر سير رولاند ، فقـــال وهو يمسح على رأسها بيده :

- نعم ، يا عزيزتي .. إنك رأيته .. وكان ميتاً .. ولكن ، لست أنت التي قتلته .. إصغي يا بيا . إن شخصاً ضربه على رأسه بعصا كبيرة ، فهل انت التي ضربته ؟

ـ لا .. هل تعني عصـــا كبيرة .. أم مضرب جولف ، كمضرب جيريمي ؟

فقال جيريمي :

ـ عصى كبيرة .. كعصى أبيك .

ـ أنا لم أقتله أيها العم رولاند .. أليس كذلك ؟

فردت كلاريسا في حنان :

- طبعاً لم تقتليه أيتها الحبيبة . والآن ، كلي هذه الشطيرة وانسي كل شيء عن الموضوع .

فقالت مسز بيلك :

ـ ما معنى كل هذا .. أنا لم أفهم كلمة واحدة

فتناول جيريمي كتاب بيا وتصفحه وقرأ فيه :

« كيف تقتل ماشية جارك ؟ هل يهمك هذا الموضوع يا مسز بيلك ؟ او لعلك تفضلين تحويره الى « كيف تتلف حديقة جارك » ؟

ـ أنا لا أعرف عم تتحدث؟

فقال جيريمي :

ـ هذا كتاب عن (السحر الأسود) .

ـ أنا لا أؤمن بالخرافات والحمد لله

قال هوغو :

ـ إني مبلبل الفكر ، وأشعر كالتائه في الصحراء .

فقالت مسز بيك وهي تربت على كتفه :

ـ ذاك شعوري أيضاً . ولهذا ، سأذهب لأرى ماذا يفعل ذوو الثياب الزرقاء (الشرطة) .

وخرجت وهي تضحك :

فقال سير رولاند بلهجة جدية :

ـ والآن ، ما هو الموقف؟

فردت كلاريسا :

ـ ما أشد غبائي .. كان يجب ان أعلم ان بيا لا تستطيع ان .. ولكني لم أكن أعلم بأمر هذا الكتاب ، انها قالت انها قتلته ، فظننت انهافعلت ذاك حقاً .

فانبعث هوغو واقفاً فقال وفي عينيه نظرة تنم عن الدهشة :

ـ ظننت ان بيا ..

ـ نعم أيها العزيز .

ـ يا إلهي ، ان ذاك يفسر كل شيء .

فقال جيريمي :

ـ أرى من الأفضل ان نذهب الى مركز الشرطة ، ونصارحهم بكل شيء .

فقال رولاند :

ـ لا أعلم ، فقد روت كلاريسا ثلاث قصص مختلفة ، فإذا ..

وهنا انثنت كلاريسا فجأة وقالت :

ـ صبراً ، فقد خطر لي خاطر ، ماذا كان اسم متجر سيلون يا هوغو ؟

ـ كان متجراً للتحف ٠

ـ أعلم ذلك ، ولكن ماذا كان مكتوباً على لافتته ؟

ـ سيلون وبراون ٠

ـ تماماً ، سيلون وبراون ، وانا ادعى مسز هيلشام براون ، وقد استأجرنا هذا البيت بايجار زهيد جداً ، بينما طلب من غيرنا ايجار فاحش أثار دهشتهم وسخطهم ، فماذا تفهمون من ذلك ؟

قال هوغو :

ـ لا شيء ٠

ـ كان لمستر سيلون شريكة تقيم في لندن ، واليوم ، اتصل بعضهم تليفونياً وقال انه يريد التحدث الى مسز براون ٠٠ لا الى مسز هيلشام براون ٠

فقال رولاند :

ـ آه ٠٠ فهمت ما تهدفين اليه ٠

وقال هوغو

ـ أما أنا فلم أفهم ٠

فردت كلاريسا :

ـ ان أحدهم قتل اوليفر ، والقاتل ليس واحداً منكم ، وليس هنري ولا بيبا والحمد لله ، ولا انا ، فمن هو اذن ؟

فقال رولاند :

ـ القاتل ، كما قلت المفتش ، شخص من الخارج ، تعقب اوليفر الى هنا وقتله ٠

ـ ولكن لماذا ، عندما رافقتك اليوم الى ساحة الجولف وعدت ، ودخلت هذه الغرفة من الباب المؤدي الى الحديقة ، وجدت اوليفر واقفاً بالقرب من المكتب وقد دهش حين رآني وسألني: ماذا تفعلين هنا يا كلاريسا

وخيل الي في تلك اللحظة ان هذا السؤال هو مجرد مزحة سمجة ، ولكن هب اننا أخذنا الأمور بظواهرها ، وان دهشته كانت حقيقية ، أفلا يعني ذاك انه كان يعتقد ان شخصاً آخر يقيم في هذا البيت ، وانه سيقابل هنا مسز براون التي كانت شريكة لمستر سيلون ..

فقال سير رولاند :

ـ ألم يكن يعلم انك وهنري تقيمان هنا !. ألم تكن ميراندا تعلم .

ـ ان جميع الاتصالات بين ميراندا وهنري تتم عن طريق محاميها ، وأنا على يقين من ان اوليفر لم يكن يتوقع ان يراني هنا .. لكنه أفاق من دهشته بسرعة ، وبرر مجيئه بأنه أتى ليتحدث بشأن بيبا ، ثم تظاهر بالانصراف ، ولكنه عاد مرة أخرى لكي ..

وقبل ان تكمل عبارتها ، دخلت مسز بيك وهي تقول :

ـ ما زال البحث مستمراً .. انهم فرغوا من البيت وبدأوا البحث في الحديقة .

فوقفت كلاريسا أمامها وقالت :

ـ هل تذكرين ماذا قال مستر كوستيللو ، قبل انصرافه ، يا مسز بيك !

ـ لا ، فقد نسيت .

ـ ألم يقل (اني جئت لمقابلة مسز براون) !

ـ نعم ، أظن انه قال ذلك ، لماذا .

ـ ولكنه لم يجيء لمقابلتي .

فضحكت مسز بيك وردت :

ـ اذا لم يكن لمقابلتك ، فلمقابلة من اذن .

ـ لمقابلتك أنت ، أنت مسز براون .

فبهتت مسز بيك وارتبكت ، وتلاشت الابتسامة عن شفتيها وعلت وجهها

مسحة من الجد لم ترها كلاريسا قبل ذلك .

وأخيراً قالت :

ـ انك سيدة ذكية .. نعم ، انا مسز براون :

فقالت كلاريسا :

ـ انت شريكة مستر سيلون ، وقد ورثت هذا البيت كما ورثت المتجر ، وكانت فكرتك ان تجدي شخصاً اسمه براون يستأجر هذا البيت ، فلما لم تجدي ، قنعت في النهاية بمستأجر اسمه هيلشام براون .

ولست ادري لماذا أردت ان تسلط الأضواء علي ، بينما انت في بيتك قابعة تراقبين .

فردت مسز بيك :

ـ ان مستر تشارلس سيلون مات مقتولاً .. وكان في حوزته قبـــل مصرعه شيء ثمين جداً ، وأنا لا أعرف ما هو ذاك الشيء ، ولا كيف حصل عليه سيلون ، فقد كان سيلون رجلاً معوجاً خرب الذمة .

فقال سير رولاند :

ـ سمعنا عنه ذلك .

ردت مسز بيك :

ـ ومهما يكن ذلك الشيء ، فإن سيلون قد قتل بسببه ، ولكن القاتل لم يعثر على ذاك الشيء ، ربما لأنه لم يكن مخبوءاً في الحانوت ، وانما كان مخبوءاً هنا ، فكنت على يقين من ان القاتل سيأتي الى هنا عاجلاً او آجلاً . لذلك أردت ان أضع في هذا المنزل دمية تحمل اسم مسز براون ، كي أتفرغ المراقبة والملاحظة من بعيد .

فقال سير رولاند :

ـ الم تفكري في ان مسز هيلشام براون ، وهي سيدة بريئة لا شأن لها بهذا كله ، يمكن ان تتعرض للخطر بسبب خطتك .

فأجابت مسز بيك :

– هل رأيت اني تخليت عنها ؟ هل تركتها تغيب عن بصري لحظة واحدة إني كنت أحوم حولها دائماً وكان ذاك يضايقكم أحياناً . وأخيراً عندما جاء رجل منذ أيام وعرض علينا مبلغاً ضخماً ثمناً لهذا المكتب ، أيقنت اني أسير في الطريق الصحيح ، وإني أوشك ان أمسك بطرف الخيط ، وذاك رغم اقتناعي بأن المكتب ليس فيه شيء ذو أهمية .

فسألها سير رولاند :

– هل فحصت الدرج السري ؟

– وهل في المكتب درج سري ؟

فردت كلاريسا :

– لقد عثرت بيا على مكان الدرج .. ولم يكن به سوى توقيعات بعض المشهورين .

فقال سير رولاند :

– أود ان أرى هذه التوقيعات مرة أخرى يا كلاريسا .

فتحولت نحو بيا وقالت :

– بيا ، أين وضعت . أوه ، إنها نامت

فردت مسز بيك :

– يبدو ان أحداث الليلة أرهقتها ، سأحملها وأضمها في فراشها .

وانحنت فوق بيا وهمت بحملها فقال سير رولاند :

– لا !

– إنها خفيفة لا يزيد وزنها عن ربع وزن مستر اوليفر .

– ربما ، ولكن بقاءها هنا أضمن لسلامتها .

فرجت مسز بيك وقالت وهي تنظر حولها

– سلامتها ؟

- ذلك ما قلته . هذه الفتاة تفوهت منذ لحظة بعبارة ذات مغزى خطير .

قال هوغو :

- ماذا قالت ؟

- إذا فكرت ملياً فإنك ستدرك ما أعني

فنظر الآخرون بعضهم إلى بعض وتنـــاول سير رولاند كتاب (عظماء بريطانيا) وراح يتصفحه .

وهز هوجو رأسه وقال :

- لقد فكرت ولم أهتد إلى شيء .

ورفع سير رولاند رأسه فجأة كمن تذكر أمراً وهتف :

- آه ، التوقيعات ، أين هي ؟

فقال هوجو :

- أظن ان بيا وضعتها في ذلك الصندوق الصغير الموجود بين الكتب على الرف .

فذهب جيريمي إلى حيث أشار هوجو ، وتناول الصندوق وفتحه وأطل فيه وقال :

- هذا صحيح ، ها هي التوقيعات .

وأخرج الأوراق التي عليها التوقيعات من المظروف وقدمها إلى سير رولاند ووضع المظروف في جيبه .

ونظر سير رولاند الى التوقيعات باهتمام ، وراح يفحصها بدقة واحدة بعد أخرى وقال :

- هذا توقيع الملكة فيكتوريا ، وهو صحيح تماماً . وهذا توقيع الشاعر براونج ، وهو مكتوب بحبر باهت ، ولكنه صحيح أيضاً .

وتوقيع جون راسكين صحيح ايضاً ، ولكن الورقة التي عليها التوقيع

ليست من القدم كما ينبغي ان تكون .

فسألته كلاريسا باهتمام

– ماذا تعني ؟

– لقد اكتسبت بعض الخبرة في موضوع الأخبار السرية والشفرة وغيرها أثناء الحرب ، فإذا أراد الإنسان ان يكتب رسالة او مذكرة سرية يتعذر اكتشافها ، فما عليه إلا ان يكتب ما يريد بالحبر السري على ورقة بيضاء ، ثم يزيف إمضاء أحد العظماء على الورقة بحبر ظاهر فتبدو وكأنها ورقة مما يهتم هواة جمع الامضاءات باقتنائه .

فقالت مسز بيك ·

– ولكن أي شيء كتبه سيلون يمكن ان يساوي أربعة عشر الفاً من الجنيهات ؟

فأجاب رولاند :

– لا شيء يا سيدتي العزيزة ، ولكن يحتمل ان يكون قد كتب مذكرة سرية لا يريد ان يطلع عليها أحد .

– مذكرة سرية ؟

– المفهوم ان اوليفر كوستيللو كان من تجار المخدرات ، وقد قال المفتش ان رجال مكافحة المخدرات استدعوا سيلون اكثر من مرة لاستجوابه ، افلا يحتمل ان تكون هنا صلة بين الرجلين ؟ هذه مجرد فكرة خطرت لي ، وقد لا تسفر عن شيء على الاطلاق .

ولا اعتقد ان سيلون استخدم شيئاً من الوسائل المعقدة في كتابة ما كتب أغلب الظن انه استخدم عصير الليمون او كلوريد الباريوم ، وكلاهما يمكن إظهاره على لهب هادىء ، هل نقوم بالتجربة ؟

فردت كلاريسا بحماسة :

– نعم ، نعم ، يوجد بالمكتبة موقد كهربائي صغير ، هل لك ان تأتي به

يا جيريمي ؟

فنهض الشاب وأحضر الموقد .

قال رولاند وهو يشعله :

– يجب ألا نأمل في الكثير ، فهذه مجرد فكرة عارضة قد لا تسفر عن شيء ، ولكن لا بد انه كان لدى سيلون سبب وجيه حمله على الاحتفاظ بهذه الأوراق في درج سري .

فقال جريمي :

– بأي الأوراق نبدأ ؟

فقالت كلاريسا :

– بورقة الملكة فكتوريا .

فقال جريمي :

– أنا اراهن على ورقة راسكين .

وقال سير رولاند :

– وأنا أراهن على براوننج .

فقال هوجو :

– إن براوننج كان شاعراً غامضاً ، فلم أفهم قط كلمة .

فقال رولاند :

– تماماً ، كانت عباراته مليئة بالمعاني الخفية .

ودار الجميع حول سير رولاند فقالت كلاريسا :

– يخيل إلي اني سأنهار إذا لم تسفر هذه التجربة عن شيء .

فقال رولاند وهو يحرك الورقة ببطء فوق اللهب :

– لا . . لا أعتقد انك ستنهارين .

وهتف جيريمي :

– ها هي الكلمات بدأت تظهر .

وصاحت مسز بيك وهي تزاحم الآخرين لتنظر إلى الورقة :

- ماذا كتب فيها ؟

فأجاب سير رولاند·

- إنها قائمة بأسماء ستة أشخاص أعتقد انهم من موزعي المخـــدرات وأوليفر كوستيلو واحد منهم .

فبهت الجميع .

وصاحت كلاريسا :

- اوليفر ! إذن فقد جاء للبحث عن هذه القائمـــة فتعقبه شخص آخر .. يجب أن نخبر البوليس يا سير رولاند ، تعال معي يا هوغو .

وانطلقت مسرعة ، وتبعها هوغو . بينما حمل جيريمي الموقد الكهربائي وذهب به إلى المكتبة .

أمـــا سير رولاند ، فإنه وضع الأوراق في جيبه ، ونهض ليلحق بكلاريسا ..

ولكنه ما أن خطا بضع خطوات حتى استدار وقال :

- ألا تأتين يا مسز بيك ؟

- هل أنتم بحاجة الي ؟

- أظن ذلك ، فإنك كنت شريكة سيلون .

- ولكن لم تكن لي أية صلة بتجارة المخدرات .. كان عملي قاصراً على التحف ، وعلى البيع والشراء في لندن .

فخرج سير رولاند .

ونظرت مسز بيك إلى بيبا ، وكانت لا تزال تغط في نومها ، ثم خرجت في أثر سير رولاند .

وبعد لحظة ، عاد جيريمي من المكتبة ، وأجال البصر حول الغرفـة ، ثم تناول وسادة من فوق أحد المقاعد ، وسار ببطء ، حتى اقترب من

الأريكة .

وتحركت ببا في هذه اللحظة .

فجمد جيريمي في مكانه ، وظل كذلك لحظة حتى كفت ببا عن الحركة فواصل سيره نحوها ، ثم رفع يديه وأنزل الوسادة ببطء ليكتم بها انفاس الفتاة .

ولكن كلاريسا دخلت فجأة وهتفت وهي تغلق الباب وراءها :

— هالو . جيريمي .

وبهدوء .. وضع الشاب الوسادة على قدمي ببا وقال :

— لقد تذكرت ما قاله سير رولاند ، ورأيت انه لا ينبغي أن نتركها وحدها ، وكانت قدماها باردتين فغطيتها .

فقالت كلاريسا :

— كل هذه الانفعالات جعلتني أشعر بجوع هائل .

ونظرت إلى صحفة الشطائر وصاحت :

— يا إلهي ! ماذا فعلت يا جيريمي ؟ هل التهمتها كلها ؟

— آسف يا عزيزتي ، كنت جائعاً .

— لماذا ؟ ألم تتناول العشاء في النادي ؟

— كلا .. كنت أتدرب على لعب الجولف ، ودخلت قاعة الطعام في اللحظة التي تلقى فيها سير رولاند مكالمتك التليفونية .

فقالت بدون اكتراث :

— آه .. هذا هو السبب إذن .

وانحنت فوق الأريكة لتصلح وضع الوسائد ، وفجأة اتسعت عيناها وغمغمت قائلة بصوت خافت :

— يا إلهي !

— ماذا ؟

- ماذا كنت تفعل بهذه الوسادة لحظة دخولي ؟

- كنت أغطي بها قدمي بيبا كما قلت لك .

- أهذا ما كنت ستفعله حقاً .. أم انك كنت تهم بوضع الوسادة على فمها ؟

- كلاريسا

- اني قلت ان احداً منا لا يمكن أن يكون قد قتل اوليفر .. ولكن يبدو أن أحدنا قد قتله . وهذا الواحد هو أنت ..

انك كنت وحدك في ساحة الجولف ، وكان في استطاعتك أن تعود إلى البيت ، وتدخل قاعة الاستقبال عن طريق باب الحديقة الذي تعمدت أن تتركه مفتوحاً ، وكان مضرب الجولف لا يزال في يدك . وقد رأتك بيبا ، وعبرت عن ذلك بقولها : (مضرب جولف كمضرب جيريمي) . إنها رأتك يا جيريمي .

- انك تهذين يا كلاريسا

- كلا .. وبعد أن قتلت أوليفر ، عدت إلى النادي واتصلت تليفونياً برجال البوليس لكي يحضروا ويجدوا الجثة . ويعتقدوا انني أو هنري قد ارتكبنا الجريمة .

فصاح جيريمي :

- هراء . هراء . كل هذا هراء

- بل انه الحقيقة . انا واثقة من ذلك .. ولكن لماذا ؟ لماذا ؟ ذلك ما لا أفهمه .

فأجاب وهو يخرج المظروف من جيبه ويقترب منها :

- من أجل هذا ..

فمدت يدها لتتناول المظروف ..

ولكنه أبعده عنها

قالت :

– هذا هو المظروف الذي كانت به اوراق التوقيعات .

– ان عليه طابع بريد به غلطة مطبعية .. وكان هناك طابع سويدي مماثل له ، بيع في العام الماضي بمبلغ أربعة عشر الفاً من الجنيهات .

فقالت كلاريسا وهي تتراجع في ذعر :

– هذا إذن هو السبب !

– وقع هذا الطابع في يد سيلون ، فكتب عنه إلى الرجل الذي أعمل سكرتيراً خاصاً له ، وقد قرأت الخطاب وجئت لمقابلة سيلون .

– وقتلته .. ولكنك لم تجد الطابع .

– لم أجده في الحانوت ، فأيقنت انه هنا .

واقترب منها ..

فتراجعت .

قال مستطرداً :

– والليلة .. ظننت ان كوستيلو قد سبقني اليه .

– ولذلك قتلته أيضاً .

فأطرق برأسه علامة الايجاب .

واستطردت كلاريسا قائلة :

– والآن .. كدت أن تقتل بيبا كذلك ؟

– ولم لا ؟

– الحق انني لا أصدق اذني .

– يا عزيزتي كلاريسا . ان أربعة عشر الفاً من الجنيهات ليست مبلغاً بسيطاً .

– ولكن لماذا قلت لي كل ذلك .. هل اعتقدت للحظة واحدة إنني

سأتستر عليك ، ولا ابلغ البوليس

– انهم لن يصدقونك .

– بل سيصدقونني .

– وفضلا عن ذلك فإنني لن اسمح لك بالكلام . هل تتوهمين انني بعد أن قتلت شخصين ، سأحجم عن قتل ثالث .

قال ذلك وانقض عليها ، ونشب اصابعه في عنقها فصرخت :

وعلى الفور دخل سير رولاند من البهو .

ودخل الرقيب جونز من الباب المؤدي الى الحديقة .

ودخل المفتش من باب المكتبة .

الفصل العاشر

قال المفتش وهو يلوي ذراع جيريمي :

– شكراً لك يا وارندر ، هذا هو الدليل الذي كنا بحاجة اليه .. أعطني هذا المظروف .

وتهالكت كلاريسا على مقعد وهي تتحسس عنقها .

قال جيريمي وهو يقدم المظروف إلى المفتش :

– هذا فخ يدل على البراعة .

فقال المفتش بلهجة رسمية :

– جيريمي وارندر .. انني أقبض عليك بتهمة قتل اوليفر كوستيلو وأحذرك بأن أي شيء تقوله سيسجل عليك ويتخذ دليلا ضدك .

فقال جيريمي في هدوء :

– طب نفساً أيها المفتش ، فقد كانت الغنيمة تستحق المغامرة .

وتقدم الرقيب فصفد يدي المتهم واقتاده إلى الخارج ، بينما أسرع سير رولاند إلى كلاريسا وسألها في لهفة :

– هل أنت بخير أيتها العزيزة ؟

– نعم .. نعم .. شكراً لك .

– لم يكن بودي أن أعرضك لهذا .

– هل كنت تعلم انه القاتل
فأجاب سير رولاند :
– نعم ..
فسأله المفتش :
– ولكن ماذا جملك تفكر في طابع البريد يا سيدي ؟
فأجاب سير رولاند وهو يتناول المظروف من يد المفتش :
– لقد بدأت شكوكي عندما أعطتني بيا المظروف ، وازدادت عندما وجدت في كتاب (دليل عظماء بريطانيا) ، أن سير لازاروس شتاين من هواة جمع الطوابع ، وتحولت إلى يقين حين وضع المظروف في جيبه بوقاحة تحت سمعي وبصري .
وأعاد المظروف إلى المفتش وقال :
– احتفظ به جيداً أيها المفتش ، فقد تكون له قيمة كبيرة ، فضلاً عن انه دليل من أدلة الجريمة .
– بل انه دليل هام .. يا له من شاب شرير !
ثم استطرد قائلاً بعد صمت قصير :
– بقي علينا فقط أن نجد الجثة .
فأجابت كلاريسا :
– هذا أمر يسير أيها المفتش .. ابحث تحت الفراش في غرفة الضيوف .
فنظر اليها بارتياب وقال :
– أهي خدعة جديدة يا مسز هيلشام براون ؟
– يا إلهي ! لماذا لا يصدقني أحد ؟ إنها تحت الفراش فعلاً ، مسز بيك وضعتها هناك خدمة لي
فقال وهو ينظر اليها عاتباً

خدمة لك ؟ ألا تعلمين انك زدت الأمور تعقيداً أمامنـــا بقصصك الخيالية يا مسز هيلشام براون .. أكبر الظن انك اعتقدت أن زوجك هو القاتل فكذبت لتحولي انظارنا عنه .. ولكن ما كان ينبغي لك أن تفعلي ذلك يا سيدتي .

وغادر المفتش الغرفة .

واقتربت كلاريسا من الأريكة لتوقظ بيبا .

فقال سير رولاند :

– يحسن بك أن تذهبي بها إلى غرفتها . إنها بأمن الآن .

فقالت كلاريسا وهي تحرك بيبا بلطف :

– انهضي يا بيبا .. آن لك أن تأوي إلى فراشك .

فاعتدلت الفتاة جالسة وقالت وهي تتثاءب :

– اني جائعة .

فقالت وهي ترافقها إلى الباب :

– سأبحث لك عن طعام ، فهلمي بنا ..

وما كادتا تخرجان حتى أقبل هوغو وهو يهتف :

– من كان يصدق هذا ؟ شاب مثله . لطيف ، مثقف ، يعرف جميع الشخصيات الهامة !

فأجاب سير رولاند :

– ولكنه لم يجد مانعاً من ارتكاب جريمة قتل من أجل أربعة عشر الفاً من الجنيهات ! هذا أمر يحدث بين الحين والحين في مختلف طبقـــات المجتمع .. أشخاص يتمتعون بالوسامة والجاذبية ، ولكن لا أخلاق لهم .

لقد كان طول الوقت يفكر ويدبر ويرسل خيوطه كالعنكبوت لكي يقتنص مبلغ الأربعة عشر الفاً من الجنيهات .

ودخلت مسز بيك وعلى وجهها دلائل الانزعاج وقالت :

- يبدو ان الدائرة قد دارت علي .. فالمفتش يريد ان يستجوبني في مركز البوليس بشأن إخفاء الجثة .

ودخل المفتش [illegible] وقال يحدث سير رولاند :

- اننا سننقل الجثة الآن يا سيدي .

- حسناً .

- وأرجوك أن تقول [illegible] براون ، انهـا إذا عمدت إلى تضليل البوليس على هذا النحو مرة أخرى ، فإنها ستجد نفسها في مأزق خطير .

- الواقع انها قالت لك الحقيقة مرة ولكنك لم تصدقها .

- ذلك ، لأن مـا قالته ، كان يتعذر هضمه .. طاب مساؤك يا سيدي .

وقال هوغو

أظن انني يجب أن انصرف بدوري لأتمدد في فراشي بعد هذه الأمسية المصيبة ..

- على رسلك يا هوغو ! طاب مساؤك .

* * *

وما أن انصرف المفتش وهوغو ، حتى عادت كلاريسا ، ودخل هنري من باب الحديقة في نفس اللحظة .

فصاحت الزوجة في مزيج من الدهشة والفزع .

- هنري !

والقت بنفسها في أحضانه ..

فقال هنري وهو ينظر إلى سير رولاند :
– ظننتك ستذهب الى النادي الليلة يا رولاند .
– اني ذهبت وعدت مبكراً ، كانت امسية مضنية .
– فهل لعبت البريدج !
– البريدج وأشياء أخرى .. سأصعد الآن إلى غرفتي .. طاب مساؤكما ..
فشيعته كلاريسا بابتسامة ..
ثم نظرت إلى زوجها وقالت :
– وأين مستر جونز ..
فقال هنري وهو يتنهد ويضع حقيبة اوراقه على أحد المقاعد :
– لم يحضر ..
– ماذا ..
– وصلت الطائرة ، ولم يكن بها سوى أحد سكرتيريه .. وكان ، أول ما فعله السكرتير ، انه عاد ادراجه على نفس الطائرة .
– لماذا ..
– من يعلم ..
– وسير جون ..
– أسوأ ما في الأمر .. انه قد يحضر إلى هنا في أية لحظة .. انني اتصلت به من المطار ، فقيل لي انه غادر مكتبه فعلا .. وانه في الطريق إلى هنا .
وفي تلك اللحظة ، دق جرس التليفون .
فقالت كلاريسا :
– سأتولى الرد ، فقد يكون المتكلم من رجال البوليس ..

ـ رجال البوليس .

وتناولت كلاريسا السماعة .

وصرخت :

ـ الو .. نعم ، هنا قصر (كوبلستون) نعم انه هنا .

وتناولت هنري السماعة قائلة :

ـ مطار بندلي هيث ..

وصاح في التليفون :

ـ نعم ، ماذا ، بعد عشر دقائق ، حسنا سأحضر حالاً .

ووضع السماعة .

وقال بسرعة يحدث كلاريسا :

ـ هبطت طائرة أخرى بعد الطائرة الأولى بنحو عشر دقائق ، وبها مستر كالندورف .

ـ تعني مستر جونز .

ـ نعم ايتها العزيزة ، ويبدو ان الطائرة الأولى كانت للاستكشاف ، والواقع ، اني لا أدري كيف يفكر هؤلاء الناس ، انه الآن في طريقه إلى هنا باحدى سيارات سلاح الطيران ، فهل كل شيء على ما يرام

ثم اجال البصر حوله ..

فهتف في قلق :

ـ ما هذه الفوضى ، ظننت انني سأجد كل شيء معداً ، ماذا فعلت إذن طيلة المساء .

ـ انا آسفة يا صديقي ، الحق انها كانت امسية حافلة بالإثارة ، بعد انصرافك ، أعددت الشطائر وأحضرتها إلى هنا وكان أول ما حدث اني تعثرت بجثة خلف المكتب وكدت اسقط فوقها

فقال وهو شارد الفكر :

- هذا حسن ، ان قصصك كلها طريفة يا كلاريسا ، ولكن هذا ليس وقتها

فرفعت كلاريسا عينيها إلى السماء .

وهتفت :

- يا إلهي ، ألا أجد ابداً من يصدقني ؟

- تمت -